التناسب في القرآن الكريم
سورة البلد أنموذجا

إعداد

د/ إيمان شحته حسن محمد

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية بنات بالمنصورة – جامعة الأزهر

التناسب في القرآن الكريم
سورة البلد أنموذجا

إيمان شحته حسن محمد
قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالمنصورة – جامعة الأزهر.
البريد الألكتروني : DR.EMANSHEHTA@GMAIL.COM

الملخص:

لقد بلغ القرآن من ترابط أجزائه، وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره مبلغا فريدا، لا يدانيه فيه أي كلام آخر، هذا الترابط والتلاؤم والتلاحم بين حروفه وكلماته وجمله وآياته وسوره وهو ما يعنى بعلم التناسب، وقد أكد العلماء على أهمية هذا العلم، ومكانته وفضله؛ لما فيه من إبراز وجوه إعجاز القرآن ليس فقط لفصاحة ألفاظه وشرف معانيه بل ترتيبه ونظم آياته وفهم مقاصده، وكونه أعظم الوسائل التي تعين على التعمق في فهم القرآن، واكتشاف دقائق ترابطه وسبكه، وإبراز لطائفه، كما يساعد على حسن التأويل ودقة الفهم، وإدراك روعة إعجاز القرآن البلاغي، وانتظام كلامه وروعة أسلوبه.

وهذا هو موضوع البحث، الذي تسعى فيه الباحثة – بعون الله – إلى ابراز ملامح وجماليات هذا الفن الإعجازي والحديث عن أهميته ودوره المهم في إبراز معاني القرآن الكريم الكلية وفهم مقاصده، وذلك من خلال التطبيق على سورة البلد، والتي على الرغم من قصرها إلا أنها اشتملت

على عدد من الموضوعات المهمة كالحديث عن سعادة الإنسان وشقاوته، ومنهجه في اختيار أحد الطريقين، والعمل بمقتضى هذا الاختيار، والتأكيد على كاملية استعداد الإنسان وحريته للاختيار بين الخير والشر، والحثّ على الإيمان والتواصي بالصبر والمرحمة والمكرمات الأخرى وفي مقدمتها عتق الرقيق وإطعام الطعام وكفالة اليتيم وغيرها.

وخلصت الباحثة بعد اكتمال محاور البحث إلى أن سورة البلد تعتبر وحد موضوعية متكاملة حيث إنها استوفت كل عناصر البلاغ والإرسال: موطن الرسالة والرسول والمرسل إليه والرسالة وأصناف الخلق بالنسبة للاستجابة للرسالة.

الكلمات الافتتاحية للبحث: التناسب – سورة البلد إنموذجا.

Cohesion in the Holy Quran:

Surat AlBalad as amodel

Iman Shehtah Hasan Mohamed
Department: of Tafsir and the Sciences of the Quran- Lecturer at the College of Islamic and Arabic Studies, Mansoura - Al-Azhar University
E-MAIL : DR.EMANSHEHTA@GMAIL.COM

Abstract:

The words, sentences, verses and Chapters of the Quran are uniquely and incomparably connected to each other. This connection is technically known as the Science of Qur'ani Correlation. Scholars believe that this particular branch of knowledge is of cardinal importance, high status and great virtue, since it showcases the different aspects of the miraculous nature of the Quran in a way that exceeds its eloquence and noble meaning to the arrangement of its verses and ultimate objectives. Besides, it is one of the best means that help have profound understanding of the meanings of the verses, unveiling the minor details about its connection and showcasing its subtle observations. It furthermore helps have a better understanding of the Quran and be fully aware of its rhetorical miraculous nature and style.

This is actually the main theme of this research where the researcher attempts to highlight the features and characteristics of this miraculous art. The study attempts thereby to showcase the significance of this

science in highlighting the meanings of the verses of the Quran and its ultimate objectives through practical application on the Chapter of Al-Balad that, though not lengthy, highlighted a number of important topics like the happiness and misery of man, his methodology in choosing any of the two paths, his work in light of this selection, emphasis on man's all-readiness and full freedom to choose either the good or the evil, and urging people to believe in Allah and His Messengers, charge them to show patience and mercy to each other, as well as doing all the other acts of good topped by the emancipation of slaves, giving food and looking after the orphans.

The researcher reaches the conclusion that the Chapter of Al-Balad is considered one integrated, thematic unit, as it meets all the requirements of the deliverance of the message, that is, the home of the message, the Messenger, the people to whom the Messenger is sent, the Message and people's kinds as to response to the Messenger.

Keywords: Correlation – Chapter of Al-Balad

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهديه الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هاد له من بعده، وأصلى وأسلم على خاتم النبين والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين. **أما بعد:**

فإن القرآن الكريم كتاب الله، أنزله على قلب نبيه – محمد – ﷺ – بلسان عربي مبين، محكم آياته مصداقا لقوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ (١).

أودع فيه الهدى والنور، وأبان فيه العلم والحكمة، فأقبل عليه العلماء يرجعون النظر كرات وكرات ينهلون من معينه، ويستنبطون أحكامه، ويستلهمون هدايته لاستنباط معانيه واستجلاب منافعه.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ۝٨٢﴾ (٢).

إنه الإعجاز الذي تجلى في فصاحته وبلاغته واتساق الفاظه مع معانيه وارتباط آياته وسوره بعضها مع بعض فتراها متعانقة متماسكة آخذة بعضها بأعناق بعض، حتى وكأنها سلسلة رقيقة عذبة متجانسة منسجمة معنى ودلالة، وتأثيرا نفسيا ووجدانيا؛ على أروع مستوى يطيق البشر تصوره.

---

(١) سورة هود من الآية ١.

(٢) سورة النساء الآية ٨٢.

لقد بلغ القرآن من ترابط أجزائه، وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره مبلغا فريدا، لا يدانيه فيه أي كلام آخر، هذا الترابط والتلاؤم والتلاحم بين حروفه وكلماته وجمله وآياته وسوره هو ما يعنى بعلم التناسب، وهو موضوع بحثي، حيث يسعى البحث – بعون الله– إلى إبراز ملامح وجماليات هذا الفن الإعجازي من خلال التطبيق على سورة البلد، ومن الله نستمد الهداية والتوفيق ونسأله العون والرشاد.

أسباب اختياري لموضوع البحث:

١- خدمة كتاب الله – ﷻ – بموضوع يتعلق بأشرف الكتب على الإطلاق.

٢- إبراز أهمية علم التناسب ودوره المهم في فهم مقاصد القرآن الكريم وفهم معانيه، فيبدو وكأنه سبيكة واحدة لا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل، أو لكأنه سمط وحيد وعقد فريد نظمت حروفه وكلماته ونسقت جمله وآياته على نسق فريد ونظم معجز.

٣- إن علم المناسبة علم إبداعي يمكن للباحث التعمق فيه فيتوصل إلى نتائج جديدة ومعطيات لم يسبق إليها، ومن ثم عدم التوقف عند ما كتبه المفسرون، وذلك كما يقول الرازي: إن أكثر لطائف القرآن مُودعة في الترتيبات والروابط.

٤- أن سورة البلد على الرغم من قصرها إلا أنها اشتملت على عدد من الموضوعات المهمة؛ حيث استوفت عناصر البلاغ والإرسال وذلك بذكر الرسول ورسالته وموطنها والمرسل إليهم، مما يدل أنها وحدة موضوعية متكاملة.

٥- اشتمال تفسير سورة البلد على عدد من الفوائد واللطائف المهمة والذي يسعى البحث لبيانها وابرازها.

الدراسات السابقة:

علم التناسب علم إعجازي عظيم تنبه له المتأخرون والمتقدمون فسطروا فيه مصنفات ومؤلفات عديدة وكل أدلى فيه بدلوه وأضاف فيه، وكل باحث ومعنى بهذا العلم تتشوق نفسه لمعرفة ما كتب فيه قديما وحديثا، منذ نشأته وحتى وقتنا الراهن، وهناك العديد من الدراسات والمؤلفات والأبحاث العلمية التي تناولت علم المناسبة وتطبيقها على سور القرآن منها:

١- النبأ العظيم لمحمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية.

٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي.

٣- الإتقان في علوم القرآن لعبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي.

٤- مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم.

٥- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، د/ محمد أحمد يوسف القاسم.

٦- التناسب في القرآن الكريم سورة الطارق انموذجا، د/ حذيفة عبود، بحث تم نشره في المؤتمر العلمي الثاني لكلية العلوم الاسلامية، الرمادي ٢٠١٢م.

٧- التناسب في سورة البقرة، رسالة ماجستير، للباحث طارق مصطفى محمد حميدة، جامعة القدس – فلسطين ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

منهج البحث:

انتهجت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي وفق المحاور التالية:

١- توضيح المعنى اللغوي لمفردات السورة.

٢- تعريف عام لآيات السورة بشرحها شرحا تحليليا.

٣- عزو الآيات القرآنية التي ذكرت في البحث بذكر السورة ورقم الآية، فإذا ذكرت الآية كاملة قلت سورة كذا آية كذا، أما إذا ذكرت بعضها قلت سورة كذا من الآية كذا.

٤- تخريج الأحاديث النبوية تخريجاً علمياً، وذلك بعزوها إلى مصادرها الأصلية.

٥- توثيق المعلومة المذكورة في البحث من مصادرها الأصلية وذلك بذكر اسم الكتاب والمؤلف والطبعة وسنة النشر في حال ذكر أول مرة، وبذكر الكتاب والمؤلف فقط في حال تكراره.

٦- ترجمة الأعلام المذكورة في البحث من كتب التراجم.

٧- ذكر أهم نتائج البحث والتوصيات الموصي بها.

٨- إعداد فهرس للمراجع بذكر اسم المرجع كاملا، مرتبا حسب الترتيب الأبجدي.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وثلاث مباحث:

المبحث الأول: مقدمة في علم المناسبات.

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المناسبة لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: أهمية هذا العلم ومكانته.

المطلب الثالث: فائدته.

المطلب الرابع: أنواعه.

المطلب الخامس. آراء العلماء فيه.

المطلب السادس: أشهر المؤلفات فيه.

المبحث الثاني: التعريف بسورة البلد.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مكان نزولها وتسميتها.

المطلب الثاني: مقاصد السورة.

المطلب الثالث: محور السورة.

المبحث الثالث: المعنى العام لسورة البلد.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المعنى اللغوي لمفردات السورة.

المطلب الثاني: المعنى العام لآيات السورة.

المبحث الثالث: التناسب في سورة البلد.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مناسبة سورة البلد لما قبلها.

المطلب الثاني: مناسبة سورة البلد لما بعدها.

المطلب الثالث: التناسب بين آيات السورة.

الخاتمة: وتشتمل على:

- نتائج البحث.
- التوصيات.
- الفهارس وتتضمن: فهرس المصادر والمراجع.

وختاما: فإن هذا البحث قد ابتغيت به وجه الله – ﷻ – فما كان فيه من صواب فبفضل الله ونعمته، وما كان فيه من خطأ أو عجز أو تقصير فهو من عمل البشر والذي طالما يعتريه كل هذا، والله نسأل أن يغفر زلاتنا ويجبر نقصنا ويستر عيبنا ونسأله المن والهداية والفتوح والتوفيق.

المبحث الأول

مقدمة في علم المناسبات

المطلب الأول

تعريف المناسبة لغة واصطلاحا

المناسبة لغة: المقاربة والمشاكلة " يقال فلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة " (١).

قال ابن فارس(٢)- رحمه الله -: " النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به " (٣).

---

(١) البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي: ٣٥/١، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، وانظر: مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، صـ ٩٦، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٢) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازيّ، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب ولد ٩٤١م، وتوفي سنة ١٠٠٤م، من تصانيفه: مقاييس اللغة – مجمل اللغة – الصاحبي في علم العربية وغيرها. انظر: الاعلام لخير الدين بن محمود بن محمد ابن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي: ١٩٣/١، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢م.

(٣) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: ٤٢٣/٥، مادة: نسب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

وفي المفردات: " نسب والنسبة: اشتراك من جهة أحد الأبين، وذلك ضربان: نسب بالطول كالاشتراك من الآباء والأبناء، ونسب بالعرض كالنسبة بين بني الإخوة، وبني الأعمام " [(١)].

ويستخلص من هذه المعاني اللغوية أن مادة نسب تدل على أكثر من معني، منها:

١- الاتصال والتشابك.

٢- الاشتراك في النسب طولا وهي العلاقة التي تربط الفرع بأصله أي الأبناء بآبائهم وأمهاتهم أو عرضا كالنسب والقرابة بين الأخوة وبني الأعمام.

٣- المشاكلة والمشابهة، وإن كانت المناسبة لا تقتضي بالضرورة المشابهة حيث الأهم فيها وجود الرابطة والصلة.

المناسبة اصطلاحا:

يقول الإمام الزركشي[(٢)] - رحمه الله - المناسبة: " مرجعها في فواتح الآي وخواتمها إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة

---

(١) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، صـ ٨٠١، مادة: نسب، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: الأولى ١٤١٢هـ.

(٢) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة، له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، و لقطة العجلان، وغيرها، توفي ٧٩٤هـ ١٣٩٢م. انظر: الأعلام للزركلي: ٦/٦٠.

والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه " [١].

وعرفت أيضا بأنها: " وجه الارتباط بين الآية والآية التي تليها، والسورة والسورة التي تليها، وفاتحة السورة وخاتمتها، ونحو ذلك، أو هي وجه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض " [٢].

وفي نظم الدرر هي: " علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه، إلى تحقيق مطابقة المقال لمقتضي الحال " [٣].

ويتضح من تعريف الإمام البقاعي[٤] أن المناسبة ترتبط ارتباطا قويا بالفصاحة وبالقواعد البلاغية من حيث جزالة الألفاظ وفصاحتها ومناسبتها للمعاني ومطابقة المقال لمقتضى الحال وهو ما بينه الإمام الجاحظ حيث قال عند حديثه عن تناسب الألفاظ مع الأغراض: " لكلّ ضرب من الحديث ضرب

---

(١) البرهان للزركشي: ٣٥/١.

(٢) دراسات في علوم القرآن: د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي، صـ ٤٤٧، ط: التاسعة عشر ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي ابن أبي بكر البقاعي: ٥/١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٤) هو الشيخ إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط أبو الحسن برهان الدين البقاعي الشافعي ولد سنة ٨٠٩هـ في قرية بلبنان، ونشأ بها، من أهم مؤلفاته: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد الصور، نظم الدرر في تناسب الآى السور وغيرها، توفي في دمشق سنة ٨٨٥هـ. انظر: إمتاَعُ الفُضَلاء بتَراجِم القرّاء فِيما بَعدَ القَرن الثامِن الهِجري، إلياس بن أحمد حسين – الشهير بالساعاتي – ابن سليمان ابن مقبول علي البرماوي: ٧٤/٢ – ٧٩، باختصار، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

من اللفظ، ولكلّ نوع من المعاني نوع من الأسماء: فالسّخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال " [١].

فهو بهذا الكلام يطابق بين المناسبة والقاعدة البلاغية وهي مطابقة المقام لمقتضى الحال، وهذا جزء من المناسبة، وهي مناسبة النص للواقع الذي يلقى فيه.

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام أن كل من تحدث عن مصطلح التناسب لم يخرج عن معنى التلاؤم والتشابه في وصفه للكلام المتشابه أجزائه، إلا أن منهم من استعمل مصطلح التلاؤم بدلا من التناسب [٢]، وأيا كان المصطلح الذي استعمله العلماء سواء أكان تلائما أو تشابها أو ترابطا إلا أن البحث آثر لفظ التناسب؛ لأنه الأشهر كما أنه يوحي بخصائص جمالية يتصف بها النص المبدع الذي تظهر أجزاؤه في أذن السامع وعين القارئ متناسقة بعضها مع بعض.

ولقد كان الصحابة – ﷺ – يستشعرون جمال التناسب القرآني ويتذوقون حلاوته وخير دليل على ذلك ما روي عن زيد بن ثابت[٣] قال:

---

(١) الحيوان لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: ١٧/٣، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية ١٤٢٤هـ.

(٢) انظر النكت في إعجاز القرآن لعلي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي، صـ ٩٤، ٩٥، المحقق: محمد خلف الله، د/ محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط: الثالثة ١٩٧٦م.

(٣) زيد بن ثابت بن الضحاك بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، كنيته أبو سعيد،=

أملى علي رسول الله – ﷺ – هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ (١) إلى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ (٢)، فقال معاذ بن جبل(٣): فتبارك الله أحسن الخالقين، فضحك رسول الله – ﷺ – فقال له معاذ: مما ضحكت يا رسول الله؟ قال: " بها ختمت "(٤).

= وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو خارجة. وكان عمره لما قدم النبي – ﷺ – المدينة إحدى عشرة سنة، استصغره رسول الله – ﷺ – يوم بدر، فرده، وشهد أحدا، وقيل: لم يشهدها، وإنما شهد الخندق أول مشاهده، كان زيد يكتب لرسول الله – ﷺ – الوحي وغيره، توفي سنة خمس وأربعين وقيل غير ذلك، انظر: " أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير: ٣٤٦/٢ باختصار، المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

(١) سورة المؤمنون آية ١٢.

(٢) سورة المؤمنون من الآية ١٤.

(٣) معاذ بن جبل بن عمرو السلمي. سكن الشام وتوفي في خلافة عمر – ﷺ – في ناحية الأردن في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة. انظر: ترجمته في معجم الصحابة لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور ابن شاهنشاه البغوي: ٢٦٥/٥ وما بعدها، المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان – الكويت، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٤) أخرجه الطبراني في: المعجم الأوسط لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، ٥٦/٥، ح (٤٦٥٧)، تحقيق: طارق بن عوض الله ابن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة. وقال: " لا يروى هذا الحديث عن زيد بن ثابت إلا بهذا الإسناد، تفرد به: آدم "، وفي =

فالذي لا شك فيه، أن ختام الآية في القرآن دائم التناسق مع مبدئها، وظاهر التناغم مع مضمونها؛ فلما لما كان المقام مقاماً للحديث عن إعجاز قدرته – ﷻ – في خلق الإنسان ومراحل هذا الخلق انبهر عمر بن الخطاب من جمال صنعته – ﷻ – وكمال قدرته فانطلق لسانه بهذه الخاتمة ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾.

= مجمع الزوائد: وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين علي ابن أبي بكر بن سليمان الهيثمي: ٧٢/٧، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة،عام النشر: ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

المطلب الثاني

أهمية هذا العلم ومكانته

أكد العلماء على أهمية هذا العلم ومكانته وفضله لما فيه من إبراز إعجاز القرآن ليس فقط لفصاحة ألفاظه وشرف معانيه بل بحسب ترتيبه ونظم آياته.

وهو ما أفاده الإمام الرازي[1]- ﷺ - حيث يقول: " إن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته " [2].

وقال الزركشي - ﷺ -: " واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول " [3].

---

(١) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام العلامة سلطان المتكلمين في زمانه، فخر الدين، أبو عبد الله القرشي البكري التيميّ، المفسّر، المتكلم إمام وقته، صاحب المصنفات المشهورة، ولد في رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وقيل سنة ثلاث، وهو من تلامذة البغوي، كانت وفاته بهراة في يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة. انظر: طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي: ٢١٥/٢ - ٢١٨ باختصار، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري: ١٠٦/٧، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة ١٤٢٠هـ.

(٣) البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي: ٣٥/١.

وكان الإمام أبو بكر النيسابوري يقول إذا قرئ عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة " [١].

كما جعل الإمام ابن العربي[٢] ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علما عظيما " [٣].

(١) البرهان للزركشي: ٣٦/١.

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر بن العربيّ، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. ومات بقرب فاس، ودفن بها، سنة ٤٥٣هـ من كتبه العواصم من القواصم، عارضة الأحوذي في شرح الترمذي، أحكام القرآن. انظر: الأعلام للزركلي: ٢٣٠/٦، باختصار.

(٣) الإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: ٣٦٩/٣، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

المطلب الثالث

فائدته

لهذا العلم فوائد كثيرة منها:

١- إبراز لطائف القرآن وهو ما وضحه الرازي حيث يقول: " أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط " (١).

٢- يساعد على حسن التأويل ودقة الفهم، وإدراك روعة إعجاز القرآن البلاغي، وانتظام كلامه وروعة أسلوبه، قال الإمام الزركشي: " وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء " (٢).

٣- يعين على فهم الآية وتحديد المراد منها، ومثال ذلك خلاف المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١﴾ (٣)، حيث قال الجمهور: هي الملائكة، وقال آخرون: هي الطير، والصحيح الأول؛ لأنه ذكر في آخر السورة قول الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥﴾ (٤) (٥).

٤- يساعد على إبراز وجوه الإعجاز القرآني " حيث يرسخ الإيمان في

---

(١) مفاتيح الغيب: ١١٠/١٠.

(٢) البرهان: ٣٦/١.

(٣) سورة الصافات الآية ١.

(٤) سورة الصافات الآية ١٦٥.

(٥) انظر: علم المناسبات في القرآن لمحمد بن عبد العزيز الخضيري، مجلة البيان، العدد ١٤٦، صـ ٢٠.

القلب، ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين:
أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب.
والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب " [1].
وغيرها من الفوائد [2].

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/١.
(٢) ينظر إليها في: دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، صـــ٤٤٨، ٤٤٩.

المطلب الرابع
أنواعه

للمناسبات في القرآن أنواع كثيرة منها:

١- المناسبة بين الآية والآية التي تليها، بحيث تصير السورة وحدة موضوعية متكاملة.

مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ [١] ذكر فيها جزاء من يعمل الحسنات، فناسب أن يذكر في المقابل المضاد جزاء من يعمل السيئات فقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [٢].

٢- المناسبة بين أول السورة وخاتمتها.

مثل أول سورة ص ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ [٣] وآخرها أيضا حديث عن هذا الذكر ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧﴾ [٤].

٣- المناسبة بين خاتمة السورة وفاتحة السورة التي تليها.

مثل أخر سورة الطور ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩﴾ [٥] وأول سورة

---

(١) سورة الزلزلة آية ٧.
(٢) سورة الزلزلة آية ٨.
(٣) سورة ص آية ١.
(٤) سورة ص آية ٨٧.
(٥) سورة الطور آية ٤٩.

النجم التي تليها ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ (١) (٢).

(١) سورة النجم آية ١.

(٢) ومن أراد الاستزادة في أنواع المناسبات يراجع، دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، صـ ٤٥٢، ٤٥٣، والمناسبة في القرآن دراسة لغوية أسلوبية، د/ مصطفى شعبان عبد الحميد، صـ ٣٧، المكتب الجامعي الحديث ٢٠٠٧م، وانظر لمزيد من الأمثلة في كتاب: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع – بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، قرأه وتممه: د/ عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى ١٤٢٦هـ.

المطلب الخامس

آراء العلماء فيه

اختلف العلماء في هذا العلم ما بين القبول والمنع، فمنهم من قبل هذا العلم وانتصر له، ومنهم من منعه واعترض عليه.

أولا: القابلون لهذا العلم المنتصرون له.

ذهب جمهور العلماء وعامتهم إلى قبول هذا اللون من علوم القرآن بل وألفوا فيه واستحسنوه منهم عل سبيل المثال:

١- القاضي عبد القاهر الجرجاني[١] صاحب نظرية النظم والتي هي بحسب تعبيره "تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض" [٢].

وعنده أن المعاني تترتب في النفس أولا وتتبعها الألفاظ مرتبة على حسب ترتيب المعاني فتراه يقول: " وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتّب لك بحكم أنّها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولا حقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالّة عليها في النطق " [٣].

---

(١) عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر، واضع أصول البلاغة من أهل جرجان (بين طبر سات وخراسان) له شعر رقيق، من كتبه " أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز، والعمدة في تصريف الأفعال وغيرها. انظر: الاعلام للزركلي: ٤٨/٤، ٤٩ باختصار.

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، صـ ٧، المحقق: د/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

(٣) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، صـ ٤٥.

٢- الإمام الزركشي والذي تحدث في كتابه البرهان في علوم القرآن عن هذا العلم باعتباره واحدا من علوم القرآن، بل إنه نقل عن بعض المشايخ المحققين في الرد على من رفض هذا العلم قولهم: " قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف " (١).

٣- الإمام البقاعي صاحب كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور والذي كان من أفضل الكتب المؤلفة في هذا العلم.

٤- وغير هؤلاء العلماء كثيرون ممن انتصروا لهذا العلم ولقد أعجبتني عبارة العلامة د/ عبد الله دراز(٢) صاحب كتاب النبأ العظيم حيث قال في هذا الصدد: " إنها إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع؛ كمثل بنيان كان قائمًا على قواعده

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣٧/١.

(٢) محمد بن عبد الله دراز، عالم، اديب ولد بمصر، وانتسب الى معهد الاسكندرية الديني، وحصل على الشهادة الثانوية الازهرية، وعلى شهادة العالمية، ثم تعلم اللغة الفرنسية، واختير للتدريس بالقسم العالي بالأزهر، ثم ارسل في بعثة علمية الى فرنسة، وحصل على شهادة الدكتوراه من السوربون، نال عضوية جماعة كبار العلماء، من مؤلفاته: تاريخ آداب اللغة العربية، منهل العرفان في تقويم البلدان، وغيرها، توفي سنة ١٣٧٧هـ. انظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ٢١٢/١٠، ٢١٣ باختصار، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قدرت أبعاده ورقمت لبناته، ثم فرق أنقاضًا فلم تلبث كل لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصًا يشد بعضه بعضًا كهيئته أول مرة " [1].

ثانيا: الرافضون لهذا العلم:

من أبرز العلماء الذين نقل عنهم أقوال اعتراض على هذا العلم، الإمام العز بن عبد السلام، والإمام الشوكاني[2].

حيث نقل الإمام الزركشي عن العز بن عبدالسلام قوله: " المناسبة علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر.

---

(١) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم لمحمد بن عبد الله دراز، صـ ١٨٨، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

(٢) محمّد بن علي بن محمّد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، وهو من حفاظ القرآن، ومن خيرة العلماء المجتهدين المؤلفين: وهو مفسّر، محدث، فقيه، أصوليّ، مؤرخ، أديب، نحوي، منطقي، متكلم، حكيم، ولد يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين ومائة قرأ «القرآن» على جماعة من المعلمين كان منعزلاً عن بني الدنيا لم يقف بباب أمير، بل كان مشتغلا في جميع أوقاته بالعلم درسا وتدريسا وإفتاء وتصنيفا، توفي سنة خمسين ومائتين وألف من الهجرة، انظر: ترجمته في: معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ لمحمد محمد محمد سالم محيسن: ٣٧٩/٢ وما بعدها باختصار، دار الجيل – بيروت، ط: الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

قال: ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحســنه فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض"(١).

وقال الإمام الشوكاني معترضا على هذا العلم وعلى من اشتغل فيه خاصة الإمام البقاعي: " اعلم أن كثيرا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاؤوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلا عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره " (٢).

على أنه وبعد استقراء ما نقل عن الشيخين تبين أنهما لم يعارضا هذا العلم على إطلاقه، وأن جميع الشبهات التي استندا إليها لا تحط من شأن هذا العلم، ولا من الباحثين فيه ما دامت هناك ضوابط موجودة متمثلة في حسن الربط والبعد عن التكلف والتعسف، – وهذا بالطبع ما يتصف به القرآن الكريم في سوره وآياته – من حسن الربط والبعد عن التكلف،

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣٧/١.

(٢) فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني: ٨٦/١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط: الأولى ١٤١٤هـ.

وعلى ذلك فالمناسبة تعد من أدق العلوم، وأعظم الوسائل التي تعين على التعمق في فهم القرآن، واكتشاف دقائق ترابطه وسبكه.

ولهذا قال الإمام الرازي عند تفسيره لسورة البقرة: " ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته"(١).

(١) مفاتيح الغيب: ١٠٦/٧.

المطلب السادس
أشهر المؤلفات فيه

لمكانة هذا العلم ومقصده الأسمى أفرده العلماء بمؤلفات كثيرة منها:

١- البرهان فى تناسب سور القرآن، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، كما طبع أيضا بتحقيق د/ سعيد الفلاح.

٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر ابن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ).

٣- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع - بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ).

٤- تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي.

٥- مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، المؤلف: عادل ابن محمد أبو العلاء، وهو كتاب نشرته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: العدد ١٢٩ - السنة ٣٧ - ١٤٢٥هـ.

٦- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبد الله بن محمد الصديق الغماري.

٧- التناسب بين السور في الفواتح والخواتيم، د/ فاضل السامرئي.

٨- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، د/ محمد أحمد يوسف القاسم.

وغير ذلك من المؤلفات قديما وحديثا، هذا بالإضافة إلى عناية المفسرين بذكر المناسبات في تفاسيرهم، ومن أشهر المفسرين الذين اعتنوا بهذا العلم، الإمام الرازي في مفاتيح الغيب، والإمام أبو حيان في البحر المحيط، والإمام الزمخشري في الكشاف، وغيرهم.

المبحث الثاني
التعريف بسورة البلد

المطلب الأول
مكان نزولها وتسميتها

سورة " البلد " مكية باتفاق. وهي عشرون آية " [1].

قال الإمام الألوسي[2] – رحمه الله –: " مكية في قول الجمهور بتمامها، وقيل: مدنية بتمامها، وقيل: مدنية إلا أربع آيات من أولها.

واعترض كلا القولين بأنه يأباهما قوله تعالى: ﴿ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ [3]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي: ٥٩/٢٠، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

(٢) محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، شيخ علماء العراق في عصره، مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، ولد ببغداد، وتقفد الإفتاء فيها سنة ١٢٤٨هـ، وعزل، فانقطع للعلم، عكف على التأليف إلى أن توفي، له تصانيف، أشهرها " روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني " وله أيضا " دقائق التفسير " مخطوط. انظر: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» لعادل نويهض: ٦٦٥/٢، ٦٦٦، باختصار، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط: الثالثة ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

(٣) سورة البلد من الآية ١ ومن الآية ٢.

قيل: ولقوة الاعتراض ادعى الزمخشري الإجماع على مكيتها "[1].

والذي تطمئن إليه النفس، أن هذه السورة من السور المكية الخالصة، ولا يوجد دليل يعتمد عليه يخالف ذلك، قال الإمام الشوكاني: " سورة البلد ويقال سورة: لا أقسم، هي عشرون آية وهي مكية بلا خلاف " [2].

وفي بصائر ذوي التمييز: " السورة مكِّيّة، وآياتها عشرون، وكلماتها اثنتان وثمانون، وحروفها ثلاثمائة وإحدى وخمسون، سمّيت سورة البلد؛ لمفتتحها، وسورة العقَبَة، لقوله: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ [3][4].

وقال ابن عاشور[5]- رحمه الله -: " سميت هذه السورة في ترجمتها عند

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي: ٣٤٩/١٥، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ، وانظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله: ٧٥٣/٤، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٧هـ.

(٢) فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني: ٥٣٨/٥.

(٣) سورة البلد آية ١١.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد ابن يعقوب الفيروزآبادى: ٥٢٠/١، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

(٥) محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس، وأحد كبار علمائها، مفسر، لغوي، نحوي، أديب، من دعاة الإصلاح الاجتماعي والديني ولد ونشأ وتعلم بتونس، له أبحاث ودراسات ومقالات كثيرة نشرت في كبريات المجلات بتونس ومصر، وتوفي بتونس ١٩٧٣م. انظر: معجم المفسرين «من صدر الإسلام =

"صحيح البخاري": " سورة لا أقسم " وسميت في المصاحف وكتب التفسير "سورة البلد" . وهو إما على حكاية اللفظ الواقع في أولها، وإما لإرادة البلد المعروف وهو مكة " (١).

ويتضح مما سبق أنه قد ورد في اسم سورة البلد عدة مسميات؛ سورة لا أقسم، سورة البلد وهي المسماة به لافتتاحها به، سورة العقبة لورود لفظ العقبة فيها.

" وهي السورة الخامسة والثلاثون في ترتيب نزول السور، فقد كان نزولها بعد سورة " ق "، وقبل سورة " الطارق "، أما ترتيبها في المصحف فهي السورة التسعون " (٢).

= وحتى العصر الحاضر» عادل نويهض: ٢/٥٤١، ٥٤٢، باختصار.

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: ٣٠/٣٤٥، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د/ محمد سيد طنطاوي: ١٥/٣٩٧، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: الأولى.

المطلب الثاني
مقاصد السورة

للسورة الكريمة مقاصد عدة أهمها:

١- " الدلالة على نفي القدرة عن الإنسان، وإثباتها لخالقه الديان بذكر المخلص منها، الموصل إلى السعادة في الآخرة، وهو ما هدى إليه ربه سبحانه، وذلك هو معنى اسمها، فإن من تأمل أمان أهل الحرم وماهم فيه من الرزق والخير على قلة الرزق ببلدهم – مع ما فيه غيرهم ممن هم أكثر منهم وأقوى – من الخوف والجوع علم ذلك " (١).

٢- التنويه بمكة، وبمقام النبي – ﷺ – بها، وبركته فيها وعلى أهلها.

٣- التنويه بأسلاف النبي – ﷺ – من سكانها الذين كانوا من الأنبياء مثل إبراهيم وإسماعيل أو من أتباع الحنيفية.

٤- التخلص إلى ذم سيرة أهل الشرك، وإنكارهم البعث، وما كانوا عليه من التفاخر المبالغ فيه، وما أهملوه من شكر النعمة على الحواس، ونعمة النطق، ونعمة الفكر، ونعمة الإرشاد فلم يشكروا ذلك بالبذل في سبل الخير وما فرطوا فيه من خصال الإيمان وأخلاقه.

٥- وعيد الكافرين وبشارة المتقين .

٦- " جابهت السورة أحد المشركين، وكشفت سوء أفعاله، ورسمت الطريق الأمثل للوصول إلى رضوان الله " (٢).

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٤٥/٢٢.

(٢) الموسوعة القرآنية، خصائص السور لجعفر شرف الدين: ٢٥٥/١١، المحقق: =

٧- تعداد لنعم الله – تعالى – على الإنسان كي تردعه عن عصيانه وغروره، وتدفعه إلى أخلاص العبادة لخالقه – ﷻ –، وبيان حسن عاقبة الأخيار، وسوء عاقبة الأشرار يقول الفيروز آبادي[١] –رحمه الله–: " معظم مقصود السّورة: تشريف مكّة بحكم القَسَم بها، وشدّة حال الأَدنى، والخبر من سرّه وعلانيته، والمِنَّة عليه بالنعم المختلفة، وتهويل عَقَبَة الصِّراط وبيان النجاة منها، ومدح المؤمنين وصبرهم على البلاءِ، ورحمة بعضهم بعضاً، وخلود الكفَّار في النَّار "[٢].

= عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٠هـ.

(١) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي: من أئمة اللغة والأدب ولد بكارزين (بكسر الراء وتفتح) من أعمال شيراز، كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفي في زبيد. أشهر كتبه: القاموس المحيط، المغانم المطابة في معالم طابة، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ونزهة الأذهان في تاريخ أصبهان، وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي: ١٤٦/٧.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد ابن يعقوب الفيروزآبادى: ٥٢٠/١.

المطلب الثالث

محور السورة

يدور محور السورة حول التنديد بالمنافقين والكافرين الذين يتباهون بأموالهم غير آبهين بحساب العاقبة. والتأكيد على كاملية استعداد الإنسان وحريته للاختيار بين الخير والشر، والحثّ على الإيمان والتواصي بالصبر والمرحمة والمكرمات الأخرى وفي مقدمتها عتق الرقيق وإطعام الطعام وكفالة اليتيم وغيرها.

يقول د/ وهبه الزحيلي: " محور هذه السورة المكية الحديث عن سعادة الإنسان وشقاوته، ومنهجه في اختيار أحد الطريقين. بدأت بالقسم بالبلد الحرام – مكة أم القرى، التي يأمن لناس فيها، تنبيها على عظمة قدرها، سواء في حال الإحرام أو الحل ... وأردفت ذلك بالإخبار عن خلق ذميم في الإنسان وهو اغتراره بقوته، مما حدا بكفار مكة الذين اغتروا بقوتهم أن يعاندوا الحق، ويكذبوا رسول اللَّه – ﷺ – ... ثم ذكّرت الإنسان بما أنعم اللَّه عليه من العينين واللسان والشفتين وبيان طريق الخير والشر له، واختياره أحد السبيلين بعقله وإرادته، ثم أبانت للإنسان ما يعترضه من الأهوال والمصاعب يوم القيامة وطريق اجتيازها بالإيمان والعمل الصالح وإنفاق المال في جهات البر والخير، ليكون من الأبرار السعداء أهل اليمين وقابلت ذلك بتوضيح منهج الأشقياء الفجار أهل الشمال، وهو الكفر بآيات اللَّه، فيتميز المؤمنون عن الكفار، ويتبين مآل الفريقين إما إلى الجنة أو إلى النار "[1].

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي: ٢٤١/٣٠، ٢٤٢، باختصار، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط: الثانية ١٤١٨هـ.

المبحث الثالث

المعنى العام لسورة البلد

المطلب الأول

المعنى اللغوي لمفردات السورة

١- البلد:

البلد والبلدة: مكة، شرفها الله تعالى، وكل قطعة من الأرض مستحيزة عامرة أو غامرة ... وبلد بالمكان بلودا: أقام ولزمه، أو اتخذه بلدا " (١).

قال ابن عاشور – رحمه الله –: " البلد: جانب من متسع من أرض عامرة كانت كما هو الشائع أم غامرة ... وأطلق هنا على جانب من الأرض مجعولة فيه بيوت من بناء وهو بلدة مكة " (٢).

٢- حل:

أصل الحل: حل العقدة، ومنه قوله– عز وجل –: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾(٣).

وحللت: نزلت، حل الشيء حلالا، قال الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾(٤) ورجل حلال ومحل: إذا خرج من الإحرام، أو

---

(١) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادى، صـ ٢٦٩، فصل: الباء، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: الثامنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٣٤٦/٣٠.

(٣) سورة طه من الآية ٢٧.

(٤) المائدة من الآية ٨٨.

خرج من الحرم، قال – ﷻ –: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ﴾ (١) (٢).

ويتضح مما سبق أن لفظ حل تأتي بعدة معاني منها حل العقدة، والنزول بمكان، والحلال الذي هو ضد الحرام، وخروج الرجل من إحرامه.

وفي اعراب القرآن وبيانه: " حِلٌّ " يقال: حلّ وحلال وحرم وحرام بمعنى واحد، وحلّ في المكان إذا نزل فيه يحل بضم الحاء حلولا فهو حال والمكان محلول فيه " (٣).

٣- كبد:

قال الإمام الراغب(٤) – رحمه الله –: " الكبد معروفة، والكبد والكباد توجعها، والكبد إصابتها، ويقال: كبدت الرجل: إذا أصبت كبده، وكبد السماء: وسطها تشبيها بكبد الإنسان لكونها في وسط البدن. وقيل: تكبدت

---

(١) المائدة من الآية ٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، صـ ٢٥١، مادة: حل.

(٣) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش: ٤٨١/١٠، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ط: الرابعة ١٤١٥هـ.

(٤) الحسين بن محمد بن المفضل، الإمام أبو القاسم الراغب الأصفهاني، له التفسير الكبير، مفردات القرآن، الذريعة إلى أسرار الشريعة، وغيرها. انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، صـ ١٢٢، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

الشمس: صارت في كبد السماء، والكبد: المشقة " [١].

وفي المصباح: " الكبد من الأمعاء معروفة، وكبد القوس مقبضها وكبد الأرض باطنها وكبد كل شيء وسطه وكبد السماء ما يستقبلك من وسطها والكبد بفتحتين المشقة من المكابدة للشيء وهي تحمل المشاق في فعله"[٢].

وعبارة الزمخشري[٣]- رحمه الله -: " الكبد: أصله من قولك: كبد الرجل كبدا، فهو أكبد: إذا وجعت كبده وانتفخت، فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة. ومنه اشتقت المكابدة، كما قيل: كبته بمعنى أهلكه، وأصله: كبده، إذا أصاب كبده "[٤].

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، صـ ٦٩٥، وانظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف ابن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي: ٣٦٣/٣، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس: ٥٢٣/٢، المكتبة العلمية – بيروت.

(٣) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، كان إمام عصره من غير ما دفع، تشد إليه الرحال في فنونه، توفي ٥٣٨هـ. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي: ١٦٨/٥- ١٧٤ باختصار، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله: ٧٥٤/٤.

" وقيل: الكبد شدة الأمر، ومنه تكبد اللبن إذا غلظ واشتد، ومنه الكبد لأنه دم يغلظ ويشتد " (١).

قال الإمام الرازي: " والفرق بين القولين أن الأول جعل اسم الكبد موضوعا للكبد، ثم اشتقت منه الشدة. وفي الثاني جعل اللفظ موضوعا للشدة والغلظ، ثم اشتق منه اسم العضو " (٢).

من جميع ما ذكر يتضح أن أصل تلك الكلمة كبد الإنسان وهو أحد أعضائه جسمه ثم استعملت في معنى التعب والمشقة والعناء، فهي من المكابدة للشيء، بمعنى تحمل المشاق والصبر عليها. فهي تشمل كل تعب ومشقة ينال الإنسان .

٤- **لبدا:**

" (لبد) كثير بعضه قد لبد ببعض، وفعل للكثرة، يقال: رجل حطم: إذا كان كثير الحطم، ومن قرأ لبدا فهو جمع لابد " (٣).

قال الفراء(٤) في معانيه: " اللبد: الكثير قَالَ بعضهم:

---

(١) مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري: ١٦٦/٣١.

(٢) مفاتيح الغيب: ١٦٦/٣١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: ٣٢٨/٥، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

(٤) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي، المعروف بالفراء، الديلمي الكوفي مولى بن أسد، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب؛ حكي عن أبي العباس ثعلب أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية، لأنه =

واحدته: لُبدة " (١).

وقيل: اللبد: كل مَا لصق وتراكب بعضه على بعض. وَمِنْه قَوْله - ﷻ -: ﴿ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ (٢) أَي متراكب بَعضهم على بعض من الازدحام " (٣).

من هنا يتبين أن كلمة (لبدا) تطلق على كل ما التصق بعضه ببعض وعلى كل ما اجتمع بعضه على بعض وهذا ما أشار إليه ابن عاشور - ﷺ - حيث يقول: " لبدا بضم اللام وفتح الموحدة في قراءة الجمهور وهو جمع لبدة بضم اللام وهي ما تلبد من صوف أو شعر، أي تجمع والتصق بعضه ببعض وقرأه أبو جعفر لبدا بضم اللام وتشديد الباء على أنه جمع لا بد بمعنى مجتمع بعضه إلى بعض " (٤).

= خلصها وضبطها، ولولا الفراء لسقطت العربية، توفي سنة سبع ومائتين في طريق مكة، وعمره ثلاث وستون سنة. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي: ١٧٦/٦، وما بعدها باختصار.

(١) معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء: ٢٦٣/٣، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط: الأولى.

(٢) سورة الجن من الآية ١٩.

(٣) جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: ٣٠١/١، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الأولى ١٩٨٧م.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٥٣/٣٠.

٥- **النجدين:**

في القاموس " النجد: ما أشرف من الأرض وجمعه أنجد وأنجاد ونجاد ونجود ونجد وجمع النجود أنجدة " (١).

قال الإمام الشوكاني: " وأصل النجد المكان المرتفع، وجمعه نجود، ومنه سميت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة، فالنجدان: الطريقان العاليان " (٢).

٦- **اقتحم:**

" الاقتحام الدخول في الأمر الشديد يقال: قحم يقحم قحوما، واقتحم اقتحاما وتقحم تقحما إذا ركب القحم، وهي المهالك والأمور العظام " (٣).

وقيل: " الدخول في الشيء عنفاً، من القحمة: وهى الشدة " (٤).

قال ابن عاشور – رحمه الله –: " الاقتحام: الدخول العسير في مكان أو جماعة كثيرين يقال: اقتحم الصف، وهو افتعال للدلالة على التكلف مثل اكتسب " (٥).

---

(١) القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، صـ ٣٢١ بتصرف.

(٢) فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني: ٥/٥٤٠.

(٣) مفاتيح الغيب: ٣١/١٦٨.

(٤) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني لأحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي، من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس، صـ٣٩٢، دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية – تركيا، عام النشر: ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٣٠/٣٥٦.

من خلال ما سبق في معنى كلمة اقتحم وجدنا أن الكلمة تدور في معناها اللغوي حول الدخول بقوة وسرعة، وبدون مبالاة، والإقدام على فعل الشيء من غير تبصر وروية، فاستحق بذلك أن تصيبه مصائب وعقبات.

٧- العقبة:

عقبة مفرد، والجمع عقبات وعقاب ولها في اللغة عدة معاني منها:

صعوبة، عائق ما يعترض سير العمل، أو يحول دون تحقيق شيء وبلوغه كما تأتي أيضا بمعنى طريق صعب في الجبل، ويكنى بها عما يحول دون إنجاز أمر أو الصعوبة في إنجازه " (١).

وفي تاج العروس: " العقبة بالتحريك: مرقى صعب من الجبال، أو الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه وهو طويل صعب شديد " (٢).

يقول د/ عبد الكريم الخطيب – ﷺ –: " العقبة: الطريق الوعر فى الجبل، تحف بسالكها المخاوف والمهالك .. " (٣).

إذن فالكلمة تدور حول كل ما يعترض الإنسان من صعوبات تحوله دون تحقيق هدفه بل أيضا تعود عليه بانتكاسات ومصائب، وهذا نتاج طبيعي للتهور وانعدام الروية والتبصر.

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر: ١٥٢٥/٢، باختصار، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي: ٤٠٣/٣، مادة: عقب، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

(٣) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس: ١٥٧٧/١٦، دار الفكر العربي – القاهرة.

قال أبو حيان الأندلسي[1]: " العقبة استعارة لهذا العمل الشاق على النفس من حيث هو بذل مال، تشبيه بعقبة الجبل، وهو ما صعب منه، وكان صعودا، فإنه يلحقه مشقة في سلوكها " [2].

٨- فك:

فك في اللغة بمعنى إزالة المنع ففي المصباح المنير: " فككت العظم فكا من باب قتل أزلته من مفصله وانفك بنفسه وفككت الختم وفككت الرهن خلصته " [3].

قال الإمام الرازي – ﷺ –: " الفك فرق يزيل المنع كفك القيد والغل، وفك الرقبة فرق بينها وبين صفة الرق بإيجاب الحرية وإبطال العبودية، ومنه فك الرهن وهو إزالة غلق الرهن، وكل شيء أطلقته فقد فككته، ويقال: كانت عادة العرب في الأسارى شد رقابهم وأيديهم فجرى ذلك فيهم وإن لم يشدد، ثم سمي إطلاق الأسير فكاكا " [4]، إذن الفك في اللغة بمعنى

---

(١) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حَيَّان الغرناطي الأندلسي الجياني، النِّفْزي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة، وتنقل إلى أن أقام بالقاهر، وتوفي فيها، بعد أن كف بصره انظر: الأعلام للزركلي: ١٥٢/٧.

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي: ٤٨٢/١٠، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ.

(٣) المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس: ٤٧٩/٢، مادة: فكك.

(٤) مفاتيح الغيب: ١٦٩/٣١.

الإطلاق، إزالة المنع، كما تطلق أيضا على التخليص، قال أبو حيان في معناها: " الفك: تخليص الشيء من الشيء " [١].

قال الشاعر:

فيا رب مكروب كررت وراءه ∴ وعان[٢] فككت الغل[٣] عنه فقداني[٤]

٩- **مسغبة:**

مصدر ميمي من سغب يسغب سغبا من باب فرح: جاع " [٥].

وفي الصحاح: " سغب بالكسر يسغب سغبا * أي جاع، فهو ساغب

---

(١) البحر المحيط: ٤٧٩/١٠.

(٢) الأسير " انظر: هامش ديوان امرئ القيس امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، صـــ ١٦٠، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط: الثانية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

(٣) الحبل في العنق. هامش الديوان، صـــ ١٦٠.

(٤) ديوان امرئ القيس، صـــ ١٦٠، ومعني البيت: " رب مأسور أخرجته من ضيق الإسار إلى سعة الأمان، فأطلقت كبله، ونزعت غله؛ ورب سائل اجتداك فأغنيته، وعن التجوال أقعدته، فانصرف عنك وهو يثني عليك ويتشكر نعمتك؛ وقد استحققت عليه ذلك بما أسديته إليه، ولو عاد إليك لوجد معاداً لا ضجر منك يلحقه، ولا سآمة فيك تمحقه، وإن استزاد زدته، لا يمنع من موجود، ولا يحال على مفقود ". انظر: شرح ديوان الحماسة لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، صـــ ٧٣٠، المحقق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

(٥) إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش: ٤٨٣/١٠.

وسغبان وامرأة سغبى. ويتيم ذو مسغبة، أي ذو مجاعة " [١].

فكلمة مسغبة تطلق في اللغة على معني الجوع ففي التحرير: " المسغبة: الجوع وهي مصدر على وزن المفعلة مثل المحمدة والمرحمة من سغب كفرح سغبا إذا جاع " [٢].

١٠- مقربة:

قال الزجاج[٣] في معانيه: " معناه ذا قرابة، تقول زيد ذو قرابتي وذو مقربتي، وزيد قرابتي قبيح لأن القرابة المصدر " [٤]، قال الشاعر:

يبكي عليه غريب ليس يعرفه ∴ وذو قرابته في الحي مسرور "[٥]

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي: ١٤٧/١، مادة: سغب، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٥٨/٣٠.

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج النحوي؛ كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين، وصنف كتاباً في معاني القرآن وله كتاب: الأمالي وغيرها، أخذ الأدب عن المبرد وثعلب، رحمهما الله تعالى، وكان يخرط الزجاج، ثم تركه واشتغل بالأدب، فنسب إليه، توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر – وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ست عشرة – وثلثمائة، ببغداد، وقد أناف على ثمانين سنة، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي: ٤٩/١ وما بعدها باختصار.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج" ٣٢٩/٥، ٣٣٠.

(٥) انظر: المستقصي في أمثال العرب لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله: ٣٠٥/١، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية ١٩٨٧م.

وفي تفسير المراغي[1]: " المقربة: القرابة فى النسب، تقول فلان من ذوى قرابتى ومن أهل مقربتي إذا كان قريبك نسبا " [2].

١١- متربة:

" ترب إذا افتقر ومعناه التصق بالتراب، وأما أترب فاستغنى، أي صار ذا مال كالتراب في الكثرة " [3]. قال الواحدي[4]: " المتربة مصدر من قولهم ترب يترب تربا ومتربة إذا افتقر حتى لصق بالتراب ضرا " [5].

---

(١) أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩م ثم كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها، ولي نظارة بعض المدارس، وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، توفي بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ. انظر: الأعلام: ٢٥٨/١.

(٢) تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي: ١٦١/٣٠، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م.

(٣) مفاتيح الغيب: ١٧٠/٣١، وانظر: المفردات للراغب الأصفهاني، صـ ١٦٥، مادة: ترب.

(٤) علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري، كان واحد عصره في التفسير، صنف التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز وأسباب النزول والمغازي وغير ذلك، تصدر للإفادة وللتدريس مدة، وله شعر حسن، مات في جمادي الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة، انظر: " طبقات المفسرين العشرين لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، صـ ٧٨، ٧٩، باختصار، المحقق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، ط: الأولى ١٣٩٦هـ.

(٥) الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي: ٤٩٣/٤، تحقيق وتعليق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ/ علي محمد معوض، الدكتور/ أحمد محمد صيرة، الدكتور/ أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور/ عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: =

وفي التحرير والتنوير: " المتربة مصدر بوزن مفعلة أيضا وفعله ترب يقال: ترب، إذا نام على التراب أي لم يكن له ما يفترشه على الأرض، وهو في الأصل كناية عن العرو من الثياب التي تحول بين الجسد والأرض عند الجلوس والاضطجاع وقريب منه قولهم في الدعاء: تربت يمينك، وتربت يداك " (١).

١٢- الميمنة:

" الميمنة جهة اليمين، فهي مفعلة للمكان مأخوذة من فعل يمنه (فعلا ماضيا) إذا كان على يمينه، أي على جهة يده اليمنى، أو مأخوذة من يمنه الله يمنا، إذا باركه، وإحدى المادتين مأخوذة من الأخرى، قيل: سميت اليد اليمنى يمينا ويمنى لأنها أعود نفعا على صاحبها في يسر أعماله، ولذلك سمي بلاد اليمن يمنا لأنها عن جهة يمين الواقف مستقبلا الكعبة من بابها لأن باب الكعبة شرقي، فالجهة التي على يمين الداخل إلى الكعبة هي الجنوب وهي جهة بلاد اليمن، وكانت بلاد اليمن مشهورة بالخيرات فهي ميمونة " (٢).

قال ابن منظور(٣)- رحمه الله -: " الميمنة: اليمن. وقوله - ﷺ -:

= الأستاذ الدكتور/ عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٣٥٩/٣٠.

(٢) المرجع السابق: ٣٦٢/٣٠.

(٣) محمد بن مكرَّم ابن علي بن أحمد الأنصاري الرويفعي الأفريقي، ثم المصري، القاضي الفاضل جمال الدين أبو الفضل، مولده في أول سنة ثلاثين وست مئة، =

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾؛ أي أصحاب اليمن على أنفسهم أي كانوا ميامين على أنفسهم غير مشائيم، وجمع الميمنة ميامن. واليمين: يمين الإنسان وغيره " (١).

فكلمة الميمنة من اليمن والتي تطلق في اللغة على البركة، واليد اليمني، والجهة.

١٣- مؤصدة:

الوصيدة: حجرة تجعل للمال في الجبل، يقال: أوصدت الباب وآصدته. أي: أطبقته وأحكمته " (٢)، قال السمين الحلبي(٣) في الدر المصون: " قرأ

= اختصر كتب في الأدب من المطولات منهم كتاب: الأغاني ورتبه على حروف المعجم وغيرها، توفي – ﷺ – في شعبان سنة إحدى عشرة وسبع مئة ". انظر: ترجمته في أعيان العصر وأعوان النصر لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: ٢٦٩/٥ وما بعدها باختصار، المحقق: الدكتور/ علي أبو زيد، وآخرون، قدم له: مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا، ط: الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

(١) لسان العرب لابن منظور: ٤٥٨/١٣، مادة: يمن.

(٢) المفردات للراغب الأصفهاني، صـ ٨٧٢، مادة: وصد.

(٣) أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي السمين، صاحب الإعراب المشهور شهاب الدين نزيل القاهرة، قال ابن حجر كان ماهرا في النحو لازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه، وله تفسير القرآن الكريم وإعرابه وشرح التسهيل وشرح الشاطبية، وكانت وفاته سنة ست وخمسين وسبعمائة. انظر: " طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر، صـ٢٨٧، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، ط: الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمز، والباقون بالواو، وكذا في " الهمزة " فالقراءة الأولى من آصدت الباب، أي: أغلقته أوصده فهو مؤصد. قيل: ويحتمل أن يكون من أوصدت، ولكنه همز الواو الساكنة لضمة ما قبلها كما همز ﴿بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾[1]، والقراءة الثانية ايضا تحتمل المادتين، ويكون قد خففت الهمزة لسكونها بعد ضمة " [2].

(١) سورة ص من الآية ٣٣.

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد ابن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي: ١١/١١، المحقق: الدكتور/ أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، وانظر: حجة القراءات لعبد الرحمن ابن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، صـ ٧٦٦.

المطلب الثاني

المعنى العام لآيات السورة

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ ﴾ (١).

أجمع المفسرون على أن ذلك البلد هي مكة، ففضلها معروف، ومنزلتها من منزلة حرمها الشريف فإن الله تعالى جعلها آمنة بأمان حرمها ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ (٢) وجعل ذلك الحرم الشريف قبلة لأهل المشرق والمغرب، فقال: ﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ (٣)، وجعل البيت المعمور بإزائه، ودحيت الدنيا من تحته، فهذه الفضائل وأكثر منها لما اجتمعت في مكة لا جرم أقسم الله تعالى بها.

قال الزجاج: " يعنى بالبلد ههنا مكة، والمعنى أقسم بهذا البلد، و " لا " أدخلت توكيدا كما قال – ﷻ –: " ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (٤)، وقرئت (لأقسم بهذا البلد).

تكون اللام لام القسم والتوكيد، وهذه القراءة قليلة، وهي في العربية بعيدة لأن لام القسم لا تدخل على الفعل المستقبل إلا معه النون، تقول لأضربن زيدا، ولا يجوز لأضرب تريد الحال " (٥).

---

(١) سورة البلد آية ١

(٢) سورة آل عمران من الآية ٩٧.

(٣) سورة البقرة من الآية ١٤٤.

(٤) سورة الحديد من الآية ٢٩.

(٥) معاني القرآن واعرابه للزجاج: ٣٢٧/٥، وانظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية =

وعلى الرغم من ظهور أن المراد بالبلد هنا مكة إلا أن التعبير القرآني جاء بالإشارة إليها بلفظ هذا وذلك؛ والله أعلم تمييزا لهذا البلد وتنويها بشأنها ؛ فهي في مقام لا يطال وتشريف لا يبارى.

يقول ابن عاشور – ﷺ –: " والإشارة بـــ " هذا " مع بيانه بالبلد، إشارة إلى حاضر في أذهان السامعين كأنهم يرونه لأن رؤيته متكررة لهم وهو بلد مكة، وفائدة الإتيان باسم الإشارة تمييز المقسم به أكمل تمييز لقصد التنويه به " (١).

﴿ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ ﴾ (٢).

فيه ثلاثة أوجه: أحدها: حل لك ما صنعته في هذا البلد من قتال أو غيره، قاله ابن عباس(٣) ومجاهد(٤).

= الأندلسي المحاربي: ٤٨٣/٥، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.

(١) التحرير والتنوير: ٣٤٦/٣٠.

(٢) سورة البلد آية ٢.

(٣) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي.، يكنى أبا العباس، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان ابن ثلاث عشرة سنة إذ توفي رسول الله – ﷺ –، ولد عبد الله ابن العباس في الشعب قبل خروج بني هاشم منه، وذلك قبل الهجرة بثلاث، مات – ﷺ – سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين سنة وقيل غير ذلك " انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: ٩٣٣/٣ وما بعدها باختصار وتصرف، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

(٤) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، المكي، مولى عبدالله بن السائب، القارئ، مات سنة=

الثاني: أنت مُحِل في هذا البلد غير مُحْرِم في دخولك عام الفتح. الثالث: أن يستحل المشركون فيه حرمتك وحرمة من اتبعك توبيخاً للمشركين. ويحتمل رابعاً: وأنت حالٌّ أي نازل في هذا البلد، لأنها نزلت عليه وهو بمكة لم يفرض عليه الإحرام ولم يؤْذن له في القتال، وكانت حرمة مكة فيها أعظم، والقسم بها أفخم " [1].

والقول الأول – والله أعلم – هو الراجح؛ حيث دل عليه ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة [2] – ﷺ – قال: " لما فتح الله على رسوله – ﷺ – مكة قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: " إن الله حبس

= ثلاث ومئة، وقيل غير ذلك، سمع ابن عباس، وابن عمر، وعليا وغيرهم، وكان أعلم التابعين بالتفسير ". انظر: التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة البخاري، أبى عبد الله: ٤١١/٧ بتصرف، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان.

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي: ٢٧٥/٦، المحقق: السيد ابن عبد المقصود ابن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.

(٢) صاحب رسول الله – ﷺ –، قال عن نفسه: كان اسمه في الجاهلية عبد شمس فسميت في الإسلام عبد الرحمن، وإنما كنيت بأبي هريرة، لأني وجدت هرة فجعلتها في كمي، فقيل لي: ما هذه؟ قلت: هرة، قيل: فأنت أبو هريرة، أسلم عام خيبر، وشهدها مع رسول الله – ﷺ –، ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم راضيا بشبع بطنه، فكانت يده مع يد رسول الله – ﷺ –، وكان يدور معه حيث دار، توفي سنة تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: ١٧٦٨/٤ – ١٧٧٢ باختصار.

عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، فإنها لا تحل لأحد كان قبلي، وإنها أحلت لي ساعة من نهار، وإنها لا تحل لأحد بعدي، فلا ينفر صيدها، ولا يختلى شوكها، ولا تحل ساقطتها[١] إلا لمنشد[٢]، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين[٣]، إما أن يفدى[٤] وإما أن يقيد "[٥]، فقال العباس[٦]: إلا الإذخر[٧]، فإنا نجعله لقبورنا وبيوتنا[٨]، فقال رسول الله

---

(١) الساقطة هي اللقطة. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني: ٢٧٦/١٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) أي، لمعرف يعني: لا تحل لقطتها إلا لمن يريد أن يعرفها فقط، لا لمن أراد أن يتملكها " عمدة القاري: ٢٧٦/١٢.

(٣) يخير الأمرين، يعني: القصاص والدية، فأيهما اختار كان له إما أن يفدى. المرجع السابق نفسه.

(٤) أي: يعطى له الفدية، أي: الدية. المرجع السابق نفسه.

(٥) أي: يقتص، من القود، وهو القصاص. المرجع السابق نفسه.

(٦) العباس بن عبد المطلب عم رسول الله – ﷺ –، ولد أبي العباس قبل الفيل بثلاث سنين وكان أسن من رسول الله –ﷺ– بثلاث سنين، وتوفي بالمدينة وهو ابن ثمان وثمانين سنة. انظر: معجم الصحابة لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبدالعزيز ابن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي: ٣٨٠/٤، ٣٨١ باختصار.
قال ابن عباس: توفي العباس سنة ثلاث وثلاثين.

(٧) هو نبت معروف طيب الرائحة وهو بكسر الهمزة والخاء. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: ١٢٧/٩، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية ١٣٩٢هـ.

(٨) ومعناه يحتاج إليه القين في وقود النار ويحتاج إليه في القبور لتسد به فرج =

- ﷺ -: " إلا الإذخر " (١).

وإلى هذا المعنى ذهب عدد من المفسرين منهم الإمام ابن جرير الطبري(٢) حيث يقول في معنى الآية: " وأنت يا محمد حل بهذا البلد، يعني بمكة؛ يقول: أنت به حلال تصنع فيه من قتل من أردت قتله، وأسر من أردت أسره، مطلق ذلك لك؛ يقال منه: هو حل، وهو حلال، وهو حرم، وهو حرام، وهو محل، وهو محرم، وأحللنا، وأحرمنا " (٣).

= اللحد المتخللة بين اللبنات ويحتاج إليه في سقوف البيوت يجعل فوق الخشب ". شرح صحيح مسلم للنووي: ١٢٧/٩.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - ﷺ - وسننه وأيامه = صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، كتاب: في اللقطة، باب: كيف تعرف لقطة أهل مكة: ١٢٥/٣، ح (٢٤٣٤)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ. كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - ﷺ -، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، كتاب: الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام: ٩٨٨/٢، ح (١٣٥٥)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، من مشاهير المؤرخين والمفسرين وأئمة العلماء، ولد في آمل طبرستان، وبها نشأ وحفظ القرآن صغيرا، ثم رحل في طلب العلم، فسمع بالري وبغداد والبصرة والكوفة والشام ومصر، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصر، وتوفي سنة ٣١٠هـ. انظر: معجم المفسرين لعادل نويهض: ٥٠٨/٢، ٥٠٩ باختصار.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب =

وأيضا الإمام البغوي[1] حيث قال في معنى الآية: " أن الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها مع حرمتها فوعد نبيه – ﷺ – أنه يحلها له حتى يقاتل فيها، وأن يفتحها على يده فهذا وعد من الله – ﷻ – بأن يحلها له " [2].

وهنا أمر يجب التنبيه عليه أنه لا تعارض في كون السورة مكية وكون تلك الواقعة قد حدثت في آخر مدة هجرته إلى المدينة وهو ما وضحه الإمام الرازي – رحمه الله – في تفسيره حيث يقول: " فإن قيل: هذه السورة مكية، وقوله: وأنت حل إخبار عن الحال، والواقعة التي ذكرتم إنما حدثت في آخر مدة هجرته إلى المدينة، فكيف الجمع بين الأمرين؟ قلنا: قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلا، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ ﴾[3] وكما إذا قلت لمن

= الآملي، أبو جعفر الطبري: ٤٣٠/٢٤، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

(١) الحسين بن مسعود بن محمد العلامة أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي، كان إماما في التفسير، إماما في الحديث، إماما في الفقه، له من التصانيف معالم التنزيل في التفسير وشرح السنة، والمصابيح والجمع بين الصحيحين والتهذيب في الفقه، مات في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة وقد جاوز الثمانين. انظر: طبقات المفسرين العشرين لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، صـ ٤٩، ٥٠ باختصار.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين ابن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي: ٢٥٤/٥، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٠هـ

(٣) سورة الزمر من الآية ٣٠.

تعده الإكرام والحباء: أنت مكرم محبو، وهذا من الله أحسن، لأن المستقبل عنده كالحاضر بسبب أنه لا يمنعه عن وعده مانع "[1].

﴿ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ ﴾ [2].

للمفسرين فيه وجوه أحدها: الولد آدم وما ولد ذريته، أقسم بهم إذ هم من أعجب خلق الله على وجه الأرض، لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واستخراج العلوم وفيهم الأنبياء والدعاة إلى الله تعالى والأنصار لدينه، وكل ما في الأرض مخلوق لهم، وثانيها: أن الولد إبراهيم وإسماعيل وما ولد محمد – ﷺ – وذلك لأنه أقسم بمكة وإبراهيم بانيها وإسماعيل ومحمد عليهما السلام سكانها، وثالثها: الولد إبراهيم وما ولد جميع ولد إبراهيم بحيث يحتمل العرب والعجم.

فإن جملة ولد إبراهيم هم سكان البقاع الفاضلة من أرض الشام ومصر، وبيت المقدس وأرض العرب، ورابعها: روي عن ابن عباس–ﷺ– أنه قال: الولد الذي يلد، وما ولد الذي لا يلد، فما هاهنا يكون للنفي، وعلى هذا لا بد عن إضمار الموصول أي ووالد، والذي ما ولد، وخامسها: يعني كل والد ومولود[3].

---

(١) مفاتيح الغيب: ١٦٥/٣١.

(٢) سورة البلد آية ٣.

(٣) انظر الأقوال في: مفاتيح الغيب: ١٦٥/٣١، زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: ٤٤٦/٤، ٤٤٧، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب =

والقول الذي أميل إليه – والله أعلم – قول من قال أن الآية عامة تشمل القسم بكل والد ومولود، حيث لا يوجد دليل على التخصيص، وهو ما عليه الإمام الطبري حيث قال بعد سرده للأقوال: " والصواب من القول في ذلك: ما قاله الذي قالوا: إن الله أقسم بكل والد وولده، لأن الله عم كل والد وما ولد. وغير جائز أن يخص ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر، أو عقل، ولا خبر بخصوص ذلك، ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه، فهو على عمومه كما عمه " (١).

ورجحه أيضا الإمام الرازي حيث قال بعد ذكره القول القائل بالعموم: " وهذا مناسب، لأن حرمة الخلق كلهم داخل في هذا الكلام " (٢).

وفي التفسير المنير: " أقسم بكل والد ومولود من الإنسان والحيوان، تنبيها على عظم آية التناسل والتوالد، ودلالتها على قدرة اللَّه وحكمته وعلمه " (٣).

﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ ﴾ (٤).

أي: لقد خلقنا الإنسان وخلقنا معه هذه الشدائد والآلام، التي هي من طبيعة الحياة الدنيا، ولا يزال يكابدها وينوء بها، ويتفاعل معها .. حتى

= ابن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي: ٤٨٣/٥.

(١) جامع البيان: ٤٣٣/٢٤.

(٢) مفاتيح الغيب: ١٦٥/٣١.

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي: ٢٤٥/٣٠.

(٤) سورة البلد آية ٤.

تنتهي حياته، ولا تنتهي هي، ولا فرق في ذلك بين غنى أو فقير، وحاكم أو محكوم وصالح أو طالح .. فالكل يجاهد ويكابد ويتعب، من أجل بلوغ غايات يبتغيها لا تفارقه إلا بمفارقته للدنيا، قال الإمام الألوسي ما ملخصه: قوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ ﴾أى: " في تعب ومشقة، فإنه لا يزال يقاسى فنون الشدائد من وقت نفخ الروح إلى حين نزعها، وعن ابن عمر(١) – ﷺ – يكابد الشكر على السراء ويكابد الصبر على الضراء، وقيل: لقد خلقناه منتصب القامة واقفا، ولم نجعله منكبا على وجهه، وقيل: جعلناه منتصبا رأسه في بطن أمه، فإذا أذن له في الخروج قلب رأسه إلى قدمي أمه .. وهذه الأقوال ضعيفة لا يعول عليها، والصحيح الأول .. "(٢).

والحق أن تفسير الكبد بالمشقة والتعب، هو الذي تطمئن إليه النفس لأنه لا يوجد في هذه الحياة إنسان إلا وهو مهموم ومشغول بمطالب حياته، فهو في كبد وتعب للحصول على آماله ورغباته وغاياته ... وقال سبحانه – فِي كَبَدٍ– للإشعار بأنه لشدة مقاساته ومكابدته للمشاق والمتاعب، وعدم

---

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وأجمعوا على أنه لم يشهد بدرا، استصغره النبي – ﷺ – فرده، شهد غزوة مؤتة مع جعفر بن أبي طالب – ﷺ –، وشهد اليرموك، وفتح مصر، وإفريقية، وكان كثير الإتباع لآثار رسول الله – ﷺ –، وشديد الاحتياط والتوقي لدينه في الفتوى، وكل ما تأخذ به نفسه، مات وهو ابن ست وثمانين سنة، وقيل: أربع وثمانين سنة. وقيل: توفي سنة أربع وسبعين، وقيل: غير ذلك ". انظر: أسد الغابة لأبى الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير: ٢٣٦/٣ وما بعدها باختصار.

(٢) روح المعاني: ٣٥١/١٥

انفكاكه عنها .. كالظرف بداخل المظروف فهو في محن ومتاعب، حتى يصير إلى عالم آخر تغاير أحواله أحوال هذا العالم.

يقول الإمام القرطبي(١)- ﷺ -: " قال علماؤنا: أول ما يكابد قطع سرته، ثم إذا قمط قماطا، وشد رباطا، يكابد الضيق والتعب، ثم يكابد الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه، وتحرك لسانه، ثم يكابد الفطام، الذي هو أشد من اللطام، ثم يكابد الختان، والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المعلم وصولته، والمؤدب وسياسته، والأستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه، ثم يكابد شغل الأولاد، والخدم والأجناد، ثم يكابد شغل الدور، وبناء القصور، ثم الكبر والهرم، وضعف الركبة والقدم، في مصائب يكثر تعدادها، ونوائب يطول إيرادها، من صداع الرأس، ووجع الأضراس، ورمد العين، وغم الدين، ووجع السن، وألم الأذن، ويكابد محنا في المال والنفس، مثل الضرب والحبس، ولا يمضي عليه يوم إلا يقاسي فيه شدة، ولا يكابد إلا مشقة، ثم الموت بعد ذلك كله، ثم مسألة الملك، وضغطة القبر وظلمته، ثم البعث والعرض على الله، إلى أن يستقر به القرار، إما في الجنة وإما في النار، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ ﴾، فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد. ودل هذا على أن له

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرّح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها سنة ٦٧٣هـ، من كتبه " الجامع لأحكام القرآن، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، وغير ذلك. انظر: الأعلام للزركلي: ٣٢٢/٥ باختصار.

خالقا دبره، وقضى عليه بهذه الأحوال، فليمتثل أمره " (١).

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ ﴾ (٢).

وقد اختلف فيمن نزلت الآية فقيل: نزلت في أبي الأشدين واسمه: أسيد بن كلدة الجمحي، كان معروفا بالقوة والشدة يجعل الأديم العكاظي تحت قدميه فيقول: من أزالني فله كذا، فيجذبه عشرة رجال حتى يمزق الأديم ولا تزول قدماه، وكان شديد الكفر والعداوة للنبي – ﷺ – فنزلت الآية فيه، وقيل: غير ذلك " (٣).

والصحيح عموم الآية في كل من كان يكيد للإسلام والمسلمين ؛ فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما أنه ليس هناك سند صحيح يؤيد نزول الآية في شخص بعينه ولهذا قال ابن عاشور – رحمه الله – بعد عرضه للأقوال: " ليس لهذه الأقوال شاهد من النقل الصحيح ولا يلائمها القسم ولا السياق " .

وأرجع الإمام الزمخشري الضمير في الآية لكل من كان يكابد منهم النبي – ﷺ – فيقول – رحمه الله –: " الضمير في أَيَحْسَبُ لبعض صناديد قريش الذي كان – رسول الله – ﷺ – يكابد منهم ما يكابد " (٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٦٢/٢٠، ٦٣.

(٢) سورة البلد الآية ٥.

(٣) حيث قيل أيضا: إن الآية في الوليد بن المغيرة، وقيل: هو أبو جهل، وقيل: نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل، زعم أنه أنفق مالا على إفساد أمر النبي – ﷺ –. وقيل: هو عمرو بن عبد ود الذي اقتحم الخندق في يوم الأحزاب ليدخل المدينة فقتله علي بن أبي طالب خلف الخندق. انظر: التحرير والتنوير: ٣٥٠/٣٠.

(٤) الكشاف للزمخشري: ٧٥٥/٤.

ومعني الآية كما قلنا هي على العموم في كل من اغتر بقوته وظن أنه لن يقدر عليه أحد، فمهما عظم حاله، وقوى سلطانه، فلن يستطيع أن يدبر شئونه أو يغير قدره، فإن فى الوجود قوة هى المهيمنة على كل قوة، والمسيطرة على كل قدرة، وهى قوّة الخالق التي أبدعته، وحكمته التي صورته.

وقد اختلفت أقوال المفسرين في تأويل معنى الآية على " ثلاثة تأويلات: أحدها: أيحسب الإنسان أن لن يقدر عليه الله أن يبعثه بعد الموت، قاله السدي. الثاني: أيحسب الإنسان أن لن يقدر عليه أحد بأخذ ماله، قاله الحسن. الثالث: أيحسب أن لن يذله أحد، لأن القدرة عليه ذل له " (١).

ولا شك فإن هذه المعاني كلها يحتملها سياق الآية، قال الإمام الرازي في تفسيره: " اعلم أنا إن فسرنا الكبد بالشدة في القوة، فالمعنى أيحسب ذلك الإنسان الشديد أنه لشدته لا يقدر عليه أحد، وإن فسرنا المحنة والبلاء كان المعنى تسهيل ذلك على القلب، كأنه يقول: وهب أن الإنسان كان في النعمة والقدرة، أفيظن أنه في تلك الحالة لا يقدر عليه أحد ؟ ثم اختلفوا فقال: بعضهم لن يقدر على بعثه ومجازاته فكأنه خطاب مع من أنكر البعث، وقال آخرون: المراد لن يقدر على تغيير أحواله ظنا منه أنه قوي على الأمور لا يدافع عن مراده"(٢).

(١) انظر للأقوال في: النكت والعيون للماوردي: ٢٧٦/٦.
(٢) مفاتيح الغيب: ١٦٧/٣١.

﴿ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۞ ﴾ (١)

أي يقول: "في ذلك الوقت أهلكت مالا لبدا كثيرا، من تلبد الشيء إذا اجتمع، والمراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة، أو معاداة للرسول – عليه الصلاة والسلام –"(٢).

وقد سمى الله تعالى في الآية "الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكا؛ لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود عليه من إنفاقه إلا الندم والخسار والتعب والقلة، لا كمن أنفق في مرضاة الله في سبيل الخير، فإن هذا قد تاجر مع الله، وربح أضعاف أضعاف ما أنفق " (٣).

﴿ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٞ ۞ ﴾ (٤).

أي أيحسب أن الله تعالى لم يطلع على باطنه ونيته، حين ينفق ماله رياء ومباهاة وسمعة لا على ما ينبغي في مراضي الله، وهي رذيلة على رذيلة فكيف تكون فضيلة، فالآية " توبيخ لهذا المغرور إثر توبيخ، وتجهيل في أعقاب تجهيل. أي: أيظن هذا الجاهل المغرور، حين أنفق المال الكثير

(١) سورة البلد آية ٦.
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي: ٣١٣/٥، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، صـ٩٢٤، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
(٤) سورة البلد آية ٧.

في المعاصي والسيئات، أن الله – تعالى – غير مطلع عليه ؟ إن كان يظن ذلك فهو في نهاية الجهالة وانطماس البصيرة، لأن الله – تعالى – مطلع عليه، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وسيحاسبه على ذلك حسابا عسيرا " [١].

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ ﴾ [٢].

عدد الله عليه نعمه فقال: ألم نجعل له عينين يبصر بهما، ولسانا ينطق به، وشفتين يستر بهما ثغره، ليبصره بنعمه عليه ويدله على مدى حكمته وحسن تقديره.

يقول ابن عاشور – رحمه الله –: " أي هو غافل عن قدرة الله تعالى وعن علمه المحيط بجميع الكائنات الدال عليهما أنه خلق مشاعر الإدراك التي منها العينان، وخلق آلات الإبانة وهي اللسان والشفتان، فكيف يكون مفيض العلم على الناس غير قادر وغير عالم بأحوالهم والاستفهام يجوز أن يكون تقريريا وأن يكون إنكاريا " [٣].

" والشفة: أصلها شفهة، حذفت منها الهاء، وتصغيرها: شفيهة، والجمع: شفاه. ويقال: شفهات وشفوات، والهاء أقيس، والواو أعم، تشبيها بالسنوات "[٤]. وقال الأزهري[٥]: يقال هذه شفة في الوصل وشفه، بالتاء

(١) التفسير الوسيط للطنطاوي: ٤٠٣/١٥.
(٢) سورة البلد الآيتان ٨، ٩.
(٣) التحرير والتنوير: ٣٥٣/٣٠.
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٦٥/٢٠.
(٥) محمد بن أحمد بن الازهر بن طلحة بن نوح بن الازهر بن نوح بن حاتم الازهري =

والهاء "[1]. والشفتان هما الجلدتان اللتان تستران الفم وأسنانه وبهما يمتص الماء، ومن انفتاحهما وانغلاقهما تتكيف أصوات الحروف التي بها النطق وهو المقصود هنا " [2].

ولم تقتصر الآية على ذكر اللسان دون الشفتين؛ لأن الكلام لا يستقيم إلا بهما معا. قال الإمام ابن عاشور: " وذكر الشفتين مع اللسان لأن الإبانة تحصل بهما معا فلا ينطق اللسان بدون الشفتين ولا تنطق الشفتان بدون اللسان "[3].

وهو ما أفاده ايضا الإمام ابن عطية[4] في محرره حيث يقول: " وقرن

= الهروي، الشافعي (ابو منصور)، اديب، لغوي، ولد في هراة بخراسان، وعني بالفقه اولا، ثم غلب عليه علم العربية، فرحل في طلبه وقصد القبائل وتوسع في اخبارهم، وتوفي في بهراة في ربيع الآخر. من تصانيفه الكثيرة، تهذيب اللغة في اكثر من عشر مجلدات، التقريب في التفسير، الزاهر في غرائب الألفاظ، وغير ذلك، توفي سنة ٣٧٠هـ. انظر: معجم المؤلفين: ٨/٢٣٠.

(١) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور: ٦/٥٥، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/٣٥٤.

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية، الإمام الكبير قدوة المفسرين، أبو محمد ابن الحافظ الناقد الحجة أبي بكر المحاربي الغرناطي القاضي؛ حدث عن أبيه وغيره، وكان فقيهاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير بارعاً في الأدب، ذا ضبط وتقييد وتجويد وذهن سيال، ولو لم يكن له إلا التفسير لكفى، ولد سنة ثمانين وأربعمائة، وتوفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة بحصن لورقة، انظر: فوات الوفيات لمحمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر=

تعالى «الشفتين» باللسان لأن نعمة العبارة والكلام، لا يصح إلا بالجميع"[1].

﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠ ﴾ [2].

أي أعطيناه من الفطرة والحكمة ما يستطيع بهما التمييز بين الخير والشر، وجعلنا له من العقل والفكر ما يتمكن بهما من اصابة الاختيار، ونصبنا له الدلائل على حسن الخير وأرشدناه إلى ما فى الشر من هنات وعيوب، ثم تركنا له حرية الاختيار ليسلك أىّ الطريقين شاء، بعد أن آتيناه قوة العقل والتمييز، والقدرة على الاختيار والترجيح، ليسلك الطريق التي أراد منهما.

" فليكن نجد الخير أحبّ إلى أحدكم من نجد الشر فمن نازعته نفسه واتجهت إلى نجد الشر فليقمعها بالنظر فى آيات الله، والتدبر فى دلائله، ليعلم أن ذلك الطريق مظلم معوجّ يهوى بصاحبه إلى طريق الردى، ويوقعه فى المهالك " [3].

وقد اختلف المفسرون في معني النجدين " فالذي عليه جمهور المفسرين أن المراد بهما طريق الخير والشر وقيل المراد بهما الثديين، لأنهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه " [4].

= ابن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين: ٢٥٦/٢، دار صادر – بيروت، ط: الأولى.

(١) المحرر الوجيز: ٤٨٤/٥.

(٢) سورة البلد الآية ١٠.

(٣) تفسير المراغي: ١٦٠/٣٠.

(٤) انظر للأقوال في: البحر المحيط: ٤٨٢/١٠، ومفاتيح الغيب: ١٦٧/٣١، وزاد المسير: ٤٤٨/٤.

والقول الأول والله أعلم هو الراجح وهو ما عليه جمهور المفسرين يقول الإمام الطبري: " وأولى القولين بالصواب في ذلك عندنا: قول من قال: عني بذلك طريق الخير والشر، وذلك أنه لا قول في ذلك نعلمه غير القولين اللذين ذكرنا، والثديان وإن كانا سبيلي اللبن، فإن الله تعالى ذكره إذ عدد على العبد نعمه بقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾[1] إنما عدد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نعمه، فكذلك قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾[2].

ويقول الإمام المراغي-رحمه الله-: " وإنما سماهما الله نجدين، للإشارة إلى أنهما واضحان كطريقين عاليين يراهما ذوو الأبصار، وإلى أن فى كل منهما وعورة يشق معها السلوك، ولا يصبر عليها إلا من جاهد نفسه وراضها.

وفى ذلك إيماء إلى أن طريق الشر ليست بأهون من طريق الخير، بل الغالب أن طريق الشر أصعب وأشق وأحوج إلى بذل الجهد حتى تقطع إلى النهاية وتوصّل إلى الغاية "[3].

وفي حاشية الشهاب: " ووصف مكان الخير بالرفعة والنجدية ظاهر بخلاف الشرّ فإنه هبوط من ذروة الفطرة إلى حضيض الشقوة فهو على التغليب أو على توهم المتخيلة له صعودا فتدبر "[4].

---

(١) سورة الإنسان الآيتان ٢، ٣.

(٢) جامع البيان للطبري: ٤٣٩/٢٤.

(٣) تفسير المراغي: ١٦٠/٣٠.

(٤) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري=

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ ﴾ [1].

" أي فهلا نشط واخترق الموانع المانعة من طاعة اللَّه، من تسويل النفس واتباع الهوى والشيطان، وهلا جاهد نفسه لاجتياز الطريق الصعب، وأي شيء أعلمك ما اقتحام العقبة؟ استفهام للتفخيم والتعظيم " [2].

وذكر المفسرون في العقبة هاهنا وجهين الأول: أنها في الآخرة وقيل: يريد عقبة جهنم، وقيل: هي عقبة بين الجنة والنار[3]، وقيل هي: جبل زلال في جهنم وقيل: هي الصراط يضرب على جهنم، قال الواحدي: " وهذا تفسير فيه نظر لأن من المعلوم أن هذا الإنسان وغيره لم يقتحموا عقبة جهنم ولا جاوزوها فحمل الآية عليه يكون إيضاحا للواضحات، ويدل عليه أنه لما قال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ ﴾ [4] فسره بفك الرقبة وبالإطعام"[5]

الوجه الثاني: في تفسير العقبة هو أن ذكر العقبة هاهنا مثل ضربه الله

= الحنفي: ٣٦٢/٨، دار صادر – بيروت.

(١) سورة البلد الآيتان ١١، ١٢.

(٢) التفسير المنير لوهبه الزحيلي: ٢٥٠/٣٠.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي: ٤٨٤/٢، المحقق: الدكتور/ عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم – بيروت، ط: الأولى ١٤١٦هـ.

(٤) سورة البلد آية ١٢.

(٥) التَّفْسيرُ البَسيْط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي: ٢٧/٢٤، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ط: الأولى ١٤٣٠هـ.

لمجاهدة النفس والشيطان في أعمال البر، قال الحسن عقبة الله شديدة وهي مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه من شياطين الإنس والجن " [١].

وأري أن الوجه الثاني هو الأقرب لسياق الآية؛ حيث ذكرت الآية أن العقبة يجتازها من جاهد نفسه وأتى بأعمال البر والتي على رأسها فك الرقبة، وإطعام الطعام.

يقول الإمام الرازي مرجحا هذا القول: " هذا التفسير هو الحق لأن الإنسان يريد أن يترقى من عالم الحس والخيال إلى يفاع عالم الأنوار الإلهية ولا شك أن بينه وبينها عقبات سامية دونها صواعق حامية، ومجاوزتها صعبة والترقي إليها شديد " [٢].

﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ ﴾ [٣].

قال الإمام الماوردي[٤]: " فيه وجهان: أحدهما: إخلاصها من الأسر، الثاني: عتقها من الرق، وسمي المرقوق رقبة لأنه بالرق كالأسير المربوط

---

(١) انظر الأقوال في: مفاتيح الغيب: ١٦٨/٣١، تفسير البغوي: ٢٥٦/٥، النكت والعيون: ٢٧٨/٦، المحرر الوجيز: ٤٥٨/٥.

(٢) مفاتيح الغيب: ١٦٨/٣١.

(٣) سورة البلد الآية ١٣.

(٤) علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي، له المصنفات الكثيرة في كل فن، الفقه، والتفسير، والأصول، والأدب – ولي القضاء ببلاد كثيرة، ودرس بالبصرة وبغداد سنين – ومن تصانيفه الحاوي في الفقه، تفسير القرآن سماه النكت، الأحكام السلطانية، أدب الدنيا والدين، وغير ذلك، مات في ربيع الاول سنة خمسين وأربعمائة عن ست وثمانين. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي، صـ ٨٣، ٨٤ باختصار.

من رقبته، وسمي عتقاً فكها لأنه كفك الأسير من الأسر، ويحتمل ثالثاً: أنه أرد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات " (١).

ولا مانع من إرادة كل هذه المعاني، فالظاهر أن الآية تتناول بداية عتق الرقاب ويدخل فيها فك الأسير كذلك، وقد كثرت الأحاديث النبوية التي تحث على عتق الرقاب منها: عن البراء بن عازب – ﷺ –، قال: جاء أعرابي إلى رسول الله – ﷺ –، فقال: يا رسول الله، علمني شيئا يدخلني الجنة، فقال: «لئن أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة، أعتق النسم، وفك الرقبة» قال: أو ليسا واحدا؟ قال: " فإن عتق النسمة أن تفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها " (٢).

قال ابن عطية بعد سرده للرواية: " وكذلك فك الأسير – إن شاء الله–، وفداؤه أن ينفرد الفادي به " (٣)

هذا بالنسبة للقول الأول والثاني، أما الوجه الثالث فتحتمله الآية أيضا وهو تأويل الآية على معني تخليصها من المعاصي والطرق المؤدية إلى النار.

---

(١) النكت والعيون للماوردي: ٢٧٩/٦.

(٢) جزء من حديث طويل، ذكره الحاكم في مستدركه " المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، كتاب: المكاتب: ٢٣٦/٢، ح (٢٨٦١)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٣) المحرر الوجيز: ٤٨٥/٥.

يقول الإمام الرازي: " يمكن أن يكون المراد أن يفك المرء رقبة نفسه بما يتكلفه من العبادة التي يصير بها إلى الجنة فهي الحرية الكبرى، ويتخلص بها من النار " (١).

وعلق القرطبي أيضا على ما قاله الماوردي فقال: " قال الماوردي: ويحتمل ثانيا أنه أراد فك رقبته وخلاص نفسه، باجتناب المعاصي، وفعل الطاعات، ولا يمتنع الخبر من هذا التأويل، وهو أشبه بالصواب " (٢).

﴿ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ ﴾ (٣).

" أي: مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة " (٤).

قال ابن عاشور – رحمه الله –: " ووجه تخصيص اليوم ذي المسغبة بالإطعام فيه أن الناس في زمن المجاعة يشتد شحهم بالمال خشية امتداد زمن المجاعة والاحتياج إلى الأقوات، فالإطعام في ذلك الزمن أفضل، وهو العقبة ودون العقبة مصاعد متفاوتة " (٥).

فالآية تجسم بشاعة الوضع وقساوته، فالمسغبة المجاعة، أو هو الجوع العام، وليس هناك أبشع من تصوير هذه الصورة (المجاعه) في يتيم قريب أو مسكين محتاج، حتى تلهب المشاعر وتستجلب العواطف.

---

(١) مفاتيح الغيب: ١٦٩/٣١.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٦٨/٢٠.
(٣) سورة البلد آية ١٤.
(٤) تفسير السعدي، صـ ٩٢٤.
(٥) التحرير والتنوير: ٣٥٨/٣٠.

﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [١].

" اليتيم: الشخص الذي ليس له أب، وهو دون البلوغ، ووجه تخصيصه بالإطعام أنه مظنة قلة الشبع لصغر سنه وضعف عمله وفقد من يعوله ولحيائه من التعرض لطلب ما يحتاجه، فلذلك رغب في إطعامه " [٢]

قال الإمام الرازي: " يعني يتيما بينه وبينه قرابة، فقد اجتمع فيه حقان يتم وقرابة، فإطعامه أفضل، وقيل: يدخل فيه القرب بالجوار، كما يدخل فيه القرب بالنسب " [٣].

ولا شك فإن الصدقة على القرابة أفضل منها على غير القرابة، ويعظم شأنها إذا كان هذا القريب محتاجا كاليتيم أو المسكين، ويعظم أكثر وأكثر إذا كانت على اليتيم الذي لا كافل له فهي بلا شك أفضل من الصدقة على اليتيم الذي يجد من يكفله.

﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [٤].

"أي: لا شيء له كأنه لصق بالتراب لفقره، وليس له مأوى إلا التراب"[٥].

وقد اختلفت أقوال المفسرين في المراد بقوله تعالى: ﴿ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾.

---

(١) سورة البلد آية ١٥.
(٢) التحرير والتنوير: ٣٥٨/٣٠.
(٣) مفاتيح الغيب: ١٧٠/٣١.
(٤) سورة البلد آية ١٦.
(٥) فتح القدير للشوكاني: ٥١٤/٥.

فقيل: " إن ذا المتربة هو المطروح على الطريق لا بيت له، وقيل: هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره، وقيل: أنه ذو العيال، وقيل: أنه المديون، وقيل: أنه الذي ليس له أحد، وقيل: أن ذا المتربة: البعيد التربة، يعني الغريب البعيد عن وطنه، وقيل: الملتزق بالأرض من الحاجة " (١).

وقد رجح الإمام الطبري بعد عرضه للأقوال قول من قال " أو مسكينا قد لصق بالتراب من الفقر والحاجة؛ لأن ذلك هو الظاهر من معانيه " (٢).

والقول – والله أعلم – أن كل المعاني متقاربة فهي تعبر عن مدي حاجته وافتقاره، وأنه لا وسيلة له إلى كسب المال.

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾(٣).

" يعني: أنه لا يقتحم العقبة من فك رقبة، أو أطعم في يوم ذا مسغبة، حتي يكون من الذين آمنوا، أي صدقوا، فإن شرط قبول الطاعات الإيمان بالله. فالإيمان بالله بعد الإنفاق لا ينفع، بل يجب أن تكون الطاعة مصحوبة بالإيمان " (٤).

---

(١) انظر الأقوال منسوبة إلى قائلها في: النكت والعيون، للماوردي، ٢٧٩/٦، وايضا في اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني: ٣٥٠/٢٠، المحقق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

(٢) جامع البيان: ٤٤٦/٢٤.

(٣) سورة البلد آية ١٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٧١/٢٠.

واختلف في المراد من قوله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ على عدة معاني:

منها: ما قيل أن المراد " بالصبر على طاعة الله، وقيل: بالصبر على ما افترض الله عليه، وقيل: بالصبر على ما أصابهم، وقيل: بالصبر على الدنيا وعن شهواتها[١].

ولا مانع من إرادة كل هذه المعاني، فألوانه متعددة تشمل الصبر على الطاعة، والصبر على كل ما فرضه الله، والصبر على المصائب، والصبر على الدنيا وشهواتها بل ويشمل غير ذلك.

قال الإمام الشوكاني جامعا كل هذه المعاني عند تفسيره للآية: " أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله، وعن معاصيه، وعلى ما أصابهم من البلايا والمصائب " [٢].

﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ أي " للخلق، من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه " [٣].

" وخص بالذكر من أوصاف المؤمنين تواصيهم بالصبر وتواصيهم بالمرحمة لأن ذلك أشرف صفاتهم بعد الإيمان، فإن الصبر ملاك الأعمال

---

(١) القول الأول نسبه الماوردي إلى الحسن، والثاني إلى هشام بن حسان، والثالث لسفيان، والرابع لم ينسبه لأحد. انظر: النكت والعيون: ٢٧٩/٦، ٢٨٠.

(٢) فتح القدير للشوكاني: ٥٤٢/٥.

(٣) تفسير السعدي، صـ٩٢٤.

الصالحة كلها لأنها لا تخلو من كبح الشهوة النفسانية وذلك من الصبر، والمرحمة ملاك صلاح الجامعة الإسلامية " (١).

يقول د/ عبد الكريم الخطيب: " التواصي بالصبر والمرحمة، هو إلحاح المرء على نفسه بالدعوة إليهما، والتمسك بهما، فإذا جزع في مواجهة مال يخرج من يده، حمل نفسه على الصبر على ما تكره، واستدعى من مشاعره دواعي الحنان والرحمة.. فذلك مما يعينه على مغالبة أهوائه، وقهر شحّه وبخله .. ثم لا يقف المرء عند هذا، بل ينبغى أن يكون هو داعية إلى الصبر وإلى الرحمة، يبشر بهما في الناس، ويدعو إليهما فى كل مجتمع، فذلك من شأنه أن يترك آثاره فيه، إلى جانب ما يتركه من إشاعة هذا المعروف بين الناس " (٢).

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨ ﴾ (٣).

" يعني: أهل التراحم والتواصل، هم أصحاب الميمنة، الذين يعطون كتابهم بأيمانهم " (٤).

يقول الإمام المراغي: " أولئك الذين اقتحموا العقبة ففكوا الرقاب، وأطعموا المساكين، وواسوا ذوى القربى فى يوم المسغبة هم السعداء الممتعون بجنات النعيم " (٥).

---

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/٣٦١.
(٢) التفسير القرآني للقرآن: ١٦/١٥٨٠.
(٣) سورة البلد آية ١٨.
(٤) بحر العلوم للسمرقندي: ٣/٥٨٤.
(٥) تفسير المراغي: ٣٠/١٦٣.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ ﴾ (١).

" أي: والذين لم يؤمنوا بالله، ولم يقتحموا العقبة، سيأخذون الجانب الآخر المقابل لأصحاب الميمنة، وهو جانب الشؤم، والبلاء.. حيث نار جهنم، يصلونها وبئس المصير " (٢).

قال الإمام القرطبي: ﴿ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾ أي يأخذون كتبهم بشمائلهم؛ قيل: لأنهم مشائيم على أنفسهم، وقيل: لأنهم أخذوا من شق آدم الأيسر، وقيل: لأن منزلتهم عن اليسار. قلت: ويجمع هذه الأقوال أن يقال: إن أصحاب الميمنة أصحاب الجنة، وأصحاب المشأمة أصحاب النار " (٣).

ولا مانع من إرادة كل المعاني الواردة في معنى ميمنة ومشأمة(٤)؛ فأصحاب الميمنة هم أصحاب جهة اليمين التي فيها السعداء، وهم الذين يؤتَون صحائفهم بأيمانهم، فيذهبون إلى الجنة، وهم أصحاب اليمن والخير والبركة على أنفسهم وعلى غيرهم، فإنهم أفاضوا خيرَهُم ومالهم على الفقراء والمحتاجين وتواصوا بالرحمة على خلق الله وهم ميامين على أنفسم بأنْ رضي الله عنهم وأدخلهم الجنة، وكذلك أصحاب المشأمة فهم أصحاب جهة الشمال التي فيها الأشقياء، وهم الذين يؤتَون صحائفهم بشمائلهم، ويساقون إلى النار، وهم أصحاب الشؤم على أنفسهم وعلى غيرهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة البلد آية ١٩.
(٢) التفسير القرآني للقرآن، د/ عبد الكريم الخطيب: ١٥٨١/١٦.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٧٢/٢٠ بتصرف.
(٤) انظر للأقوال في النكت والعيون للماوردي: ٢٨٠/٦.

﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (١).

ذكر لها الإمام الماوردي ثلاثة أوجه " أحدها: المؤصدة المطبقة، الثاني: مسدودة، الثالث: لها حائط لا باب له " (٢).

واختار الألوسي أن يكون المعني " مغلقة أبوابها، وإنما أغلقت لتشديد العذاب والعياذ بالله تعالى عليهم. وصرح بوعيدهم ولم يصرح بوعد المؤمنين لأنه الأنسب بما سيق له الكلام، والأوفق بالغرض " (٣).

ولا مانع أيضا من ارادة كل المعاني فالمراد تصوير ما هم عليه من شؤم بحيث أطبقت عليهم النار وأغلقت فلا ضوء، ولا فرج، ولا مفر منها ولا مهرب، أعاذنا الله منها وجعلنا من أصحاب الميمنة.

(١) سورة البلد آية ٢٠.
(٢) القول الأول نسبه الماوردي لابن عباس وأبو هريرة وقتادة، والثاني نسبه لمجاهد، والثالث للضحاك. انظر: النكت والعيون للماوردي: ٦/٢٨٠.
(٣) روح المعاني: ١٥/٣٥٦.

المبحث الرابع

التناسب في سورة البلد

المطلب الأول

مناسبة السورة لما قبلها ((سورة الفجر))

مناسبة سورة الفجر بسورة البلد تتضح فيما يلي:

١- إن الإنسان الذي ابتلاه الله فأكرمه ونعمه، فلم يحمد الله، ولم يشكر له فضله وإحسانه، والإنسان الذي قدر الله عليه رزقه، فساء ظنّه بالله، وغيّر موقفه منه – هذا الإنسان – في حاليه اللذين عرضتهما سورة «الفجر» – يرى في أوضح صورة في إنسان هذا البلد، وهو مكة، البلد الحرام الذي رفع الله قدره، وجعله حرما آمنا، يجبى إليه ثمرات كل شيء، وجعله موضعا لأول بيت يعبد فيه على هذه الأرض– هذا الإنسان الذي يعيش في هذا البلد الأمين، كان جديرا به أن يكون أعرف الناس بربه، وأرضاهم لحكمه، ولكنه لم يرع حرمة هذا البلد، فلم يكرم اليتيم، ولم يحض على طعام المسكين، وأكل التراث أكلا لما، وأحب المال حبا جمّا، أعماه عن طريق الحق، وأضله عن سبيل الرشاد.. فهل هو بعد هذه النّذر عائد إلى ربه، داخل في عباده؟ ذلك ما ستكشف عنه الأيام منه، مع دعوة الحق التي يحملها رسول الله إليه .. فالمناسبة بين السورتين قريبة دانية"[١].

(١) التفسير القرآني للقرآن: ١٦/١٥٦٥.

٢- إن اللَّه تعالى ذم في سورة الفجر من أحب المال، وأكل التراث، ولم يحض على طعام المسكين، وذكر في هذه السورة الخصال التي تطلب من صاحب المال من فك الرقبة (إعتاق العبيد) والإطعام في يوم المسغبة (المجاعة).

٣- ختم الله تعالى سورة الفجر ببيان حال النفس المطمئنة في الآخرة، وذكر هنا طريق الاطمئنان، وحذّر من ضده وهو الكفر بآيات اللَّه ومخالفة أوامر الرحمن " [١].

٤- أن الله تعالى لما ذكر ابتلاءه للإنسان بحالة التنعيم وحالة التقدير، وذكر من صفاته الذميمة ما ذكر، وما آل إليه حاله وحال المؤمن، أتبعه بنوع من ابتلائه ومن حاله السيء وما آل إليه في الآخرة" [٢].

٥- " بين سورتي الفجر والبلد تكاملا فسورة الفجر تقول: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾[٣] وسورة البلد تقول: ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ ﴾ ...

وتقول: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾..

٦- سورة الفجر تنكر على من لا يفعل، وسورة البلد تدعو إلى العمل.

٧- ختمت سورة الفجر بالكلام عن الكافرين والمؤمنين يوم القيامة،

---

(١) سورة الفجر الآيتان ١٧، ١٨.

(٢) البحر المحيط: ٤٧٩/١٠.

(٣) المرجع السابق نفسه.

فكذلك ختمت سورة البلد: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠ ﴾ (١).

٨- أن الله تعالى لما أوضح حال من تقدم ذكره في السورتين (الغاشية والفجر) في عظيم حيرتهما وسوء غفلتهم وما أعقبهم ذلك من التذكر تحسرا حين لا ينفع الندم ولات حين مطمع، أتبع ذلك بتعريف نبيه – عليه الصلاة والسلام – بأن وقوع ذلك منهم إنما جرى على حكم السابقة التى شاءها والحكمة التى قدرها فقال: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ ﴾ أي إنا خلقناه كذلك ابتلاء ليكون ذلك قاطعا لمن سبق له الشقاء عن التفكر والاعتبار " (٢).

٩- " ذكر الله تعالى في سورة الفجر صنفي الإنسان: الغني والفقير، الصنف الذي أكرمه ربه ونعّمه، والصنف الذي ابتلاه وضيّق عليه الرزق، وهو ما ذكره في سورة البلد. فقد ذكر الإنسان الذي أهلك المال الكثير، وذكر المسكين ذا المتربة واليتيم ذا المقربة " (٣).

---

(١) الأساس في التفسير لسعيد حوّى: ٦٥٢٧/١١، دار السلام – القاهرة، ط: السادسة ١٤٢٤هـ.

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، صـ ٣٦٣ بتصرف، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

(٣) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، صـ ٢٤٢، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط: الثالثة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

١٠- " وصف الله الإنسان بأنه لا يكرم اليتيم، ولا يحضّ على طعام المسكين في سورة الفجر، وأوصانا بالرحمة وحضّنا على الإنفاق في سورة البلد ذاكراً هذين الصنفين اللذين ذكرهما في سورة الفجر" (١).

١١- " أن الله - ﷻ - لما وصف الإنسان بأنه يحب المال حباً شديداً ويأكل التراث أكلاً لمّاً في سورة الفجر، ذكر في سورة البلد أن هذه عقبة لا يجتازها إلا من أعان الآخرين بماله وسمح لهم به " (٢).

(١) لمسات بيانية، صـ ٢٤٢.

(٢) المرجع السابق نفسه.

المطلب الثاني

مناسبة سورة البلد لما بعدها ((سورة الشمس))

ترتبط سورة البلد مع ما بعدها من عدة أوجه:

١- " لما تقدم القسم ببعض المواضع الشريفة في سورة البلد، أقسم هنا بشيء من العالم العلوي والعالم والسفلي، وبما هو آلة التفكر في ذلك، وهو النفس " (١)

٢- " لما كان آخر سورة البلد مختتما بشيء من أحوال الكفار في الآخرة، اختتم سورة الشمس بشيء من أحوالهم في الدنيا، وفي ذلك بمآلهم في الآخرة إلى النار، وفي الدنيا إلى الهلاك المستأصل " (٢).

٣- " لما أثبت في سورة البلد أن الإنسان في كبد، وختمها بأن من حاد عن سبيله كان في أنكد النكد، وهو النار المؤصدة، أقسم أول سورة الشمس على أن الفاعل لذلك أولاً وآخراً هو الله سبحانه لأنه يحول بين المرء وقلبه وبين القلب ولبه، فقال مقسماً بما يدل على تمام علمه وشمول قدرته في الآفاق علويها وسفليها، والأنفس سعيدها وشقيها وبدأ بالعالم العلوي، فأفاد ذلك قطعاً العلم بأنه الفاعل المختار، وعلى العلم بوجوب ذاته وكمال صفاته، وذلك أقصى درجات القوى النظرية، تذكيراً بعظائم آلائه، ليحمل على الاستغراق في شكر نعمائه، الذي هو منتهى كمالات القوى العملية " (٣).

---

(١) البحر المحيط: ١٠/ ٤٨٥ بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٢٢/٦٩.

٤- أنه سبحانه ختم سورة البلد بذكر أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، أعاد ذكر الفريقين في سورة الشمس بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ (١)(٢).

٥- أشارت سورة " البلد " إلى الإنسان، وإلى ما أودع الله سبحانه وتعالى فيه من قوى تميز بين الخير والشر، إذ يقول سبحانه: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾ (٣).. وفى سورة " الشمس " بيان شارح للنجدين، إذ يقول سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ (٤)(٥).

٦- لما تقدم في سورة البلد تعريفه تعالى بما خلق فيه الإنسان من الكبد مع ما جعل له سبحانه من آلات النظر وبسط له من الدلائل والعبر، وأظهره في صورة من مَلَك قياده وميز رشده وعناده، وذلك بما جعل له من القدرة الكسبية، أقسم سبحانه في هذه السورة على فلاح من اختار رشده واستعمل جهده، وأنفق وجده ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾ (٦)

---

(١) سورة الشمس الآيتان ٩، ١٠.

(٢) تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي: ١٦٥/٣٠، وانظر: أسرار ترتيب القرآن للسيوطي، صـ١٥٩.

(٣) سورة البلد آية ١٠.

(٤) سورة الشمس الآيتان ٧، ٨.

(٥) التفسير القرآني للقرآن، د/ عبد الكريم الخطيب: ١٥٨١/١٦.

(٦) سورة الشمس آية ٩.

وخيبة من عاب هداه فاتبع هواه، ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [1]، فبين حال الفريقين وسلوك الطريقين " [2].

٧- الغرض من كلتا السورتين الترغيب في الطاعات، والتحذير من المعاصي، فكلاهما في سياق الترغيب والترهيب " [3].

(١) سورة الشمس آية ١٠.

(٢) البرهان فى تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، صـ ٣٦٤.

(٣) الموسوعة القرآنية، خصائص السور لجعفر شرف الدين: ٢٨١/١١ بتصرف.

المطلب الثالث

تناسب آيات السورة مع بعضها البعض

تعتبر سورة البلد وحد موضوعية متكاملة حيث أنها " استوفت كل عناصر البلاغ والإرسال: موطن الرسالة ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ ﴾ والرسول ﴿ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾ والمرسل إليه وهو الإنسان ﴿ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ ﴾ والرسالة وهي الإيمان والعمل الصالح ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ ﴾ وأصناف الخلق بالنسبة للاستجابة للرسالة " أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة " [1].

ولنبدأ في سرد تلك المناسبة لبيان تناسب آيات السورة مع بعضها البعض:

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾

قال الإمام البيضاوي[2]- رحمه الله -: " أقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول – عليه الصلاة والسلام – فيه إظهارا لمزيد فضله، وإشعارا بأن شرف المكان بشرف أهله " [3].

---

(١) لمسات بيانية، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، صـ ٣٨٦.

(٢) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي صاحب المصباح في أصول الدين ومختصر الكشاف في التفسير المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل وله شرح المصابيح في الحديث، كان إماما مبرزا نظارا صالحا متعبدا زاهدا، توفي في بلدة تبريز سنة خمس وثمانين وستمائة. انظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، صـ ٢٥٤، ٢٥٥ باختصار.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: ٣١٣/٥.

فالمناسبة بين الآيتين ظاهرة؛ حيث كان القسم ببلد الله الحرام تلك البلد التي شرفها الله – ﷻ – بوجود البيت الحرام فيها، وجعلها بلد الأمن والأمان، ومن جملة تشرفيها وجود النبي – ﷺ – فيها – فشرفها بشرف أهلها.

يقول الإمام المراغي – رحمه الله –: " أقسم ربنا بمكة التي شرفها فجعلها حرما آمنا، ثم قال " وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ " أي وأنت مقيم بهذا البلد حالّ فيه، وكأنه سبحانه جعل من أسباب شرف مكة وعظمتها كونه – ﷺ – مقيما فيه، ولا شك أن الأمكنة تشرف بشرف ساكنيها، والنازلين بها " (١).

إن المقصود من القسم الوارد في الآيتين هو تعظيم المقسم به، وهو أنه لما حل الرسول بمكة جمعت شرفين، شرفها هي الذي شرَّفها الله به، وشرف الرسول فازدادت تعظيماً على تعظيم وشرفاً على شرف، واستحقت بذلك القسم.

قال أبو حيان الأندلسي – رحمه الله –: " إنه تعالى أقسم بها لما جمعت من الشرفين شرفها بإضافتها إلى الله تعالى، وشرفها بحضور رسول الله – ﷺ –، وإقامته فيها فصارت أهلاً لأن يقسم بها " (٢).

وجاء في (التبيان في أقسام القرآن): " إنه إذا كان الحل من الحلول، فهو متضمنٌ لهذا التعظيم مع تضمنه أمراً آخر، وهو الإقسام ببلده المشتمل على رسوله وعبده، فهو خيرُ البِقاع، وقد اشتمل على خير العباد. فجعل

(١) تفسير المراغي: ١٥٦/٣٠ بتصرف.
(٢) البحر المحيط: ٤٨٠/١٠.

بيته هدى للناس ونبيه إماماً وهادياً لهم، وذلك من أعظم نعمه وإحسانه إلى خلقه " (١).

﴿ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ ﴾ وهي بالعطف على القسم في قوله: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ ﴾ (٢).

والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها ظاهرة حتى على اختلاف المفسرون في معنى الوالد والولد، فعلى من قال أن المراد آدم وذريته فالمناسبة واضحة حيث أقسم سبحانه بالبلد الأمين وهو مكة أم القرى ثم أقسم بالوالد وما ولد وهو آدم وذريته، وعلى هذا "فقد تضمن القسم أصل المكان وأصل السكان فمرجع البلاد إلى مكة ومرجع العباد إلى آدم " (٣).

وإذا قلنا أن المراد رسول الله وولده فالعلاقة أيضا واضحة: " حيث جاء القسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرم أبيه ابراهيم ومنشأ أبيه إسماعيل، وبمن ولده وبه " (٤).

وإذا قلنا أن الآية على العموم فهي أيضا جاءت مناسبة لما قبلها من القسم وما بعدها من جواب القسم، أما مناسبتها لما قبلها من القسم فهو أن الله أقسم بحرمة البلد وبحرمة جميع خلق الله – ﷻ – قال الرازي: " يعني كل والد ومولود، وهذا مناسب، لأن حرمة الخلق كلهم داخل

(١) التبيان في أقسام القرآن لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، صـــ٣٦، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
(٢) اعراب القرآن وبيانه لمحى الدين درويش: ٤٨٦/١٠.
(٣) التبيان في أقسام القرآن، صـــ ٣٥، ٣٦.
(٤) الكشاف للزمخشري: ٧٥٤/٤ بتصرف.

في هذا الكلام"[١].

وأما مناسبتها مع ما بعدها " وهو قوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ ﴾ فهي إشارة إلى ما يعانيه كل والد ومولود من تعب ومشقة في سبيل إعمار الأرض وحفظ نوعه، هذا كان أيضا يعانيه النبي – ﷺ – في سبيل تبليغ رسالة ربه.

يقول الإمام المراغي: " جمع سبحانه بين البلد المعظم والوالد والولد، ليشير إلى أن مكة على ما بها من عمل أهلها ستلد مولودا عظيما يكون إكليلا لمجد النوع الإنساني وشرفه، وهو دين الإسلام الذي جاء به محمد – عليه الصلاة والسلام – وأن العناء الذي يلاقيه إنما هو العناء الذي يصيب الوالد في تربية ولده، والمولود في بلوغ الغاية فى سبيل نموه إلى ما فيه من الوعد بإتمام نوره ولو كره الكافرون " [٢].

أيضا ناسبت الآية على القول بعمومها آخر السورة وهي قوله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ وذلك " لأن الوالد يحتاج في تربية ولده إلى صبر ومرحمة سواء كان من الأناسيّ أو البهائم ولولاهما لما استطاع تربية أبنائه، وهي مناسبة لجو السورة الذي كله يقوم على المكابدة والمشقة والصبر والمرحمة والإطار العام للسورة " [٣].

---

(١) مفاتيح الغيب: ١٦٥/٣١.
(٢) تفسير المراغي: ١٥٧/٣٠.
(٣) لمسات بيانية، صـ٣٨٩.

وقال السيوطي[1]: " سورة البلد: في أولها: ﴿ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ ﴾، وآخرها: الذين آمنوا والذين كفروا، وهما قسيما ما ولد " [2].

﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ ﴾

قال ابن عاشور " جملة: " جواب القسم وهو الغرض من السورة " [3]، فالسورة كلها مبنية على هذا الأمر أي الكبد وكل تعبير مبني على ذلك، ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾ وقد ذكرنا عدة معاني لكلمة " حِل " فإذا كان حل بمعنى (حالّ) فهو يلقى من قومه ما يلقاه من العنت فهو في كبد مما يلاقيه من المشقة وهو يلقاها بقوة وثبات وتحمّل، وإذا كان بمعنى " مستحل " لا تراعى حرمته فهو دليل على أنه في كبد يُحارب من قومه ويحاولون قتله، وإذا كان بمعنى " حلال في البلد) " أي ضد الحرام فهو – ﷺ – يحلّ له أن يقتل ويأسر إذن فالكفار هم في كبد ومشقة وعنت أما المسلمون ففي قوة، وهكذا ارتبط الجواب بالقسم من كل

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن عثمان الخضيري السيوطي، جلال الدين، إمام حافظ، مؤرخ، محدث، مفسر، أديب. نشأ في القاهرة يتيما وحفظ القرآن وله دون ثمان سنين، له نحو ستمائة مصنف منها: الإتقان في علوم القرآن، الإكليل في استنباط التنزيل، التحبير لعلم التفسير وغيرها، توفي سنة ٩١١هـ ١٥٠٥م. انظر ترجمته في: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» لعادل نويهض: ٢٦٤/١، ٢٦٥ باختصار.

(٢) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع – بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، صـــ٨١.

(٣) التحرير والتنوير: ٣٥٠/٣٠.

ناحية وفي كل معنى من المعاني " (١).

فالآية تسلية لرسول الله – ﷺ –، وحضه على عمل الخير والمثابرة عليه، وألا يعبأ بما يلاقيه من الشدائد والمشاقّ، فذلك لا يخلو منه إنسان، حيث إنه خلق والمتاعب معه لا تنفك عنه حتى تقوم قيامته، كما أن فيها أيضا تحذير للمتباهين بقوتهم المغرورين بها، وكأنه يقول لهم: لا تتمادوا فى غروركم، ولا تستمروا على جهلكم وكبركم، فإن الإنسان لا يخلو من العناء والمكابدة فى تصريف شئونه وشئون ذويه، ومهما عظمت منزلته، وقويت شكيمته فهو لا يستطيع الخلاص من مشاقّ الحياة، إلا أن تنفك هي عنه.

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ ﴾

ترتبط هذه الآية بما قبلها من وجوه منها:

١- إنه – ﷻ – لما ذكر أنه خلق الإنسان في عنت ومشقة، ذكر في هذه الآية الأسباب التي أوقعته في هذا النكد والكبد، وحاصلها يرجع إلى غروره وجحوده نعمة خالقه، يقول الإمام البقاعي: " ولأجل ما علم من كون الإنسان لا يزال في نكد وشدة ونصب من حث احتياجه أولاً إلى مطلق الحركة والسكون، وثانياً إلى المأكل والمشرب، وثالثاً إلى ما يترتب عليهما إلى غير ذلك مما يعيي عده ويجهل حده، توجه الإنكار في قوله تعالى بياناً للأسباب الموقعة له في النكد " (٢).

(١) لمسات بيانية، صـ ٣٨٩، ٣٩٠ بتصرف.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٢٢/٥١.

٢- " إن فسرنا الكبد بالشدة في القوة، فالمعنى أيحسب ذلك الإنسان الشديد أنه لشدته لا يقدر عليه أحد، وإن فسرنا المحنة والبلاء كان المعنى تسهيل ذلك على القلب، كأنه يقول: وهب أن الإنسان كان في النعمة والقدرة، أفيظن أنه في تلك الحالة لا يقدر عليه أحد؟ " (١).

٣- بعد ذكر " أنه لا ينبغي للمفتونين بقوة أبدانهم، المغرورين بواسع جاههم، أن يتمادوا في صلفهم وكبريائهم - شرع يوبخهم على الاغترار بقوتهم الزائلة ويذكرهم بما أنعم به عليهم من النعم الكثيرة الحسية والعقلية " (٢).

٤- بعد القسم على أن الإنسان خلق في كبد يأتي قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ﴾ أي: الإنسان ﴿ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ أي: أيظن الإنسان مع أنه خلق في مكابدة مما يدل على أنه محاط به، أنه لن يستطيع أحد أن يقهره، وأن يغلبه، وأن يفعل به ما يشاء، ومن ثم فلا يقوم بتكليف، ولا يحسب حسابا ليوم آخر مع أن حاله وغرقه في التعب طوال حياته، كان ينبغي أن يدله على أنه مقدور عليه محاط به من الله- ﷻ -" (٣).

﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۞ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۞ ﴾

قال ابن عاشور - ﷺ -: " أعقبت مساوي نفسه بمذام أقواله، وهو التفاخر الكاذب والتمدح بإتلاف المال في غير صلاح، وقد كان أهل الجاهلية

(١) مفاتيح الغيب: ١٦٧/٣١ بتصرف.
(٢) تفسير المراغي: ١٥٨/٣٠.
(٣) الأساس في التفسير: ٦٥٢٩/١١.

يتبجحون بإتلاف المال ويعدونه منقبة لإيذانه بقلة اكتراث صاحبه به " [1].

وهذه هي الآية الوحيدة في القرآن كله التي استعمل فيها الإهلاك مع المال، عادة تأتي الإنفاق لكن اختيار كلمة أهلكت في هذه السورة مناسب لجو السورة ومناسب لما تقدمها ولما يعانيه الرسول – ﷺ – وأصحابه في لحظات الشدائد التي أدت إلى إهلاك بعضهم ومناسب للعقبة ومناسب ليوم ذي مسغبة لأن الذين لم يطعموا في ذلك اليوم أهلكوا ومناسب مع أصحاب المشئمة الذين أهلكوا ومناسب لكل إنفاق بغير وجه مناسب لأنه يعتبر إهلاكا للمال وليس إنفاقا في الخير. إذن جو السورة هكذا في إهلاك المال بغير وجهه وكل السورة مشقة وإهلاك (الكبد، سلوك النجدين، اقتحام العقبة، المشئمة والمسغبة) فكان استخدام كلمة إهلاك أنسب وأفضل كلمة تؤدي المعنى المطلوب الذي يقتضيه جو السورة وسياق الآيات فيها " [2].

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾

لما اغتر ذلك الإنسان بقوته ونسي قوة خالقه، جاءت الآيات لتذكر ذلك الجهول المفتون، الذي ظن أنه لن يقدر عليه أحد، وظن أن يفعل ما يشاء وهو في ظنه أن لم يره أحد ولم يحاسبه أحد على أفعاله، جاءت لتذكره بنعم الله عليه؛ ليعرف قدره، وليعلم ضعفه " فإذا سلّم لهذا الجهول، أن جاهه وسلطانه من كسب يده، وأن المال الذي ينفق منه بغير حساب على شهواته وأهوائه، هو من ثمرة عمله – إذا سلّم له بهذا، فهل يجرؤ على

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/٣٥٢.
(٢) لمسات بيانية، صـ ٣٩٢.

أن يدّعى – ولو تجرد من كل حياء – أنه هو الذي أوجد وجوده، وأودع فيه هذه القوى التي يعمل بها ؟ أيجرؤ على أن يقول إنه هو الذي خلق هاتين العينين اللتين ببصر بهما، أو هو الذي خلق جهاز النطق الذي ينطق به، من لسان وشفتين ؟ فإذا كان لا يملك تلك القوى المودعة فيه، فهل يملك ما تحصّله له تلك القوى من جاه، ومال، وسلطان ؟ إنه يستطيع – ولو جدلا وسفها – أن يقول مشيرا إلى نفسه: هذا مالي قد جمعته، وهذا جاهي وسلطاني قد أقمته ولكن لا يستطيع أبدا أن يقول ها هو ذا أنا الذي أو جدته!! " (١).

قال الإمام الرازي: " اعلم أنه تعالى لما حكى عن ذلك الكافر قوله: " أيحسب أن لن يقدر عليه أحد " أقام الدلالة على كمال قدرته فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾ (٢).

وقال ابن عاشور – ﷺ –: " الآيات تعليل للإنكار والتوبيخ في قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ ﴾ أي هو غافل عن قدرة الله تعالى وعن علمه المحيط بجميع الكائنات الدال عليهما أنه خلق مشاعر الإدراك التي منها العينان، وخلق آلات الإبانة وهي اللسان والشفتان، فكيف يكون مفيض العلم على الناس غير قادر وغير عالم بأحوالهم " (٣).

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب: ١٥٧٣/١٦.
(٢) مفاتيح الغيب: ١٦٧/٣١ باختصار، وانظر: تفسير المراغي: ١٥٩/٣٠.
(٣) التحرير والتنوير: ٣٥٣/٣٠.

يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦ ﴾

" الكلام مسوق مساق التوبيخ على عدم اهتداء هؤلاء للأعمال الصالحة مع قيام أسباب الاهتداء من الإدراك والنطق " (١).

إنه الجهول الفتون المغتر الذي غره حاله فظن أنه لا قادر فوقه ولا خالق له، إذا ذلك الجهول له عين يري بها ولسان وشفتين ينطق بهما، فهلا استطاع أن يخلص نفسه بتحرير رقبة، أو رعاية يتيم، أو إطعام مسكين جائع، ولكن هيهات هيهات فإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له.

يقول الإمام البقاعي: " ولما كان معنى ما مضى أن هذا الإنسان عاجز وإن تناهت قوته، وبلغت الذروة قدرته، وأنه معلوم جميع أمره مفضوح في سره كما هو مفضوح في جهره، وأنه كان يجب عليه الشكر على ما جعل له سبحانه وتعالى من القوى التي جعلها لسوء كسبه آلات للكفر، سبب سبحانه وتعالى عنه قوله تفصيلاً للأشياء الموصلة إلى الراحة في العقبى نافياً لفعلها عنه على سبيل الحقيقة دلالة على عجزه " (٢).

وقال الإمام المراغي: " بعد أن وبخ سبحانه هؤلاء المرائين الذين ينفقون أموالهم طلبا للشهرة، وحبّا في الأحدوثة، وأنّبهم على افتخارهم بما صنعوا مع خلوّ بواطنهم من حسن النية، وبين لهم أن أفضل ما يتمتعون به من البصر والنطق والعقل المميز بين الخير والشر، والنفع والضر هو منه سبحانه، وهو القادر على سلبه منهم- أردفه بيان أنه كان عليهم أن

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/٣٥٧.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٢/٥٩.

يشكروا تلك النعم، ويختاروا طريق الخير، ويرجحوا سبيل السعادة، فيفيضوا على الناس بشيء مما أفاض به عليهم، وأفضل ذلك أن يعينوا على تحرير الأرقاء من البشر، أو يواسوا الأيتام من أقاربهم حين العوز وعزة الطعام، أو يطعموا المساكين الذين لا وسيلة لهم إلى كسب ما يقيمون به أودهم لضعفهم وعجزهم " (١).

فالآيات كلها وحدة متكاملة مرتبطة بعضها ببعض فالله – ﷻ – يبين له أنه أعطاه من النعم الكثيرة والتي منها أن أعطاه القدرة على التمييز بين طريقي الخير والشر، وبين له أن طريق الخير الموصل إلى الجنة ليس سهلا هينا بل طريق صعب، " فهلا نشط واخترق الموانع المانعة من طاعة اللَّه، من تسويل النفس واتباع الهوى والشيطان، وهلا جاهد نفسه لاجتياز الطريق الصعب ... لكنه لم يتركه هكذا بل أرشده إلى طريق اقتحامها؛ وذلك بإعتاق الرقبة من العبودية، وتخليصها من إسار الرق، أو المعاونة عليه، أو إطعام في يوم المجاعة الذي يعز فيه الطعام " (٢).

يقول سعيد حوى – رحمه الله –: " جاءت الفقرة السابقة كدليل على ما قبلها، وكمقدمة لما بعدها فهي دليل على أن الله – ﷻ – يرى، ودليل على أنه قادر على الإنسان، وهي مقدمة لمطالبة الإنسان بعمل الخير الذي تطالب به الفقرة اللاحقة، فالفقرة اللاحقة تطالب الإنسان بعتق الرقاب والإطعام بناء على ما جاء في هذه الفقرة، فالفقرة ذكرت عطاء الله العظيم

(١) تفسير المراغي: ١٦١/٣٠.

(٢) انظر: التفسير المنير، د/ وهبه الزحيلي: ٢٥٠/٣٠ بتصرف.

للإنسان، وهذا يقتضي من الإنسان أن يقابل ذلك بشكر " [1].

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧ ﴾ عطف على جملة فلا اقتحم العقبة وثم للتراخي الرتبي فتدل على أن مضمون الجملة المعطوفة بها أرقى رتبة في الغرض المسوق له الكلام من مضمون الكلام المعطوفة عليه، فيصير تقدير الكلام: فلا اقتحم العقبة بفك رقبة أو إطعام بعد كونه مؤمنا.. فإنه لو فعل شيئا من هذه الأعمال الحسنة ولم يكن من الذين آمنوا ما نفعه عمله شيئا لأنه قد انتفى عنه الحظ الأعظم من الصالحات كما دلت عليه ثم من التراخي الرتبي فهو مؤذن بأنه شرط في الاعتداد بالأعمال " [2].

قال الإمام ابن كثير[3]- رحمه الله -: " ثم مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله - عز وجل - كما قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ ﴾[4]،

---

(١) الأساس في التفسير لسعيد حوى: ٦٥٣٠/١١.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٦٠/٣٠.

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق، سنة ٧٧٤هـ، تناقل الناس تصانيفه في حياته، من كتبه البداية والنهاية، وطبقات الفقهاء الشافعيين وتفسير القرآن الكريم وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي: ٣٢٠/١ باختصار وتصرف.

(٤) سورة الإسراء آية ١٩.

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ (١) (٢).

ولا شك فإن تجاوز العقبة يحتاج إلى تلك الأعمال الصالحة المزودة بزاد الإيمان المزود نفسه بزاد الصبر والتراحم.

يقول د/ عبد الكريم الخطيب: " قوله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ – إشارة إلى أن الإيمان – مجرد الإيمان – لا يمكّن المرء من اقتحام هذه العقبة، وإن كان يدعو إلى اقتحامها، ويشدّ البصر نحوها.. إذ لا بد من أن يقوم مع الإيمان، دعوة موجّهة إلى الصبر، وإلى الرحمة، وأن يتزود المرء بزاد عتيد منها " (٣).

بل إن الأصناف المذكورة في الآيات السابقة تدل على ارتباطها بـــ قوله: ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ " فإن فك الرقاب وإطعام المحتاجين من المرحمة، وهؤلاء الأصناف من الناس من المسترقّين والمساكين من أحوج الخَلْق إلى الصبر " (٤)

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾

" لما نوه بالذين آمنوا أعقب التنويه بالثناء عليهم وبشارتهم مفتتحا باسم الإشارة لتمييزهم أكمل تمييز لإحضارهم بصفاتهم في ذهن السامع،

---

(١) سورة النحل من الآية ٩٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣٩٧/٨.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، د/ عبد الكريم الخطيب: ١٥٨٠/١٦.

(٤) لمسات بيانية، صـــ ٢٧٢.

مع ما في اسم الإشارة من إرادة التنويه والتعظيم " [١].

" فأولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد درجتهم في الشرف والفضل أي أولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة " [٢].

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ ﴾

" تتميم لما سيق من ذم الإنسان المذكور آنفا إذ لم يعقب ذمه هنالك بوعيده عناية بالأهم وهو ذكر حالة أضداده ووعدهم، فلما قضي حق ذلك ثني العنان إلى ذلك الإنسان فحصل من هذا النظم البديع محسن رد العجز على الصدر، ومحسن الطباق بين الميمنة والمشأمة " [٣].

﴿ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠ ﴾

ولما كان معنى هذا أنهم في الجانب الذي فيه الشؤم والهلكة، والبعد من كل بركة، أنتج قوله: ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي خاصة دون غيرهم ﴿ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴾ أي مطبقة الباب مع إحاطتها بهم من جميع الجوانب – بما أفهمته أداة الاستعلاء ومع الضيق والوعورة، وهذا لعمري أشد الضيق والكبد، والنصب والنكد " [٤].

وهكذا أرتنا السورة موطن الرسالة والمرسل إليه، وتكليفه، وجوانب

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/٣٦٢.
(٢) ارشاد العقل السليم للإمام أبو السعود: ٩/١٦٢.
(٣) التحرير والتنوير: ٣٠/٣٦٣.
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٢/٦٨.

من هذا التكليف، واختلاف المكلف من حيث الاستجابة من قبول أو رفض، وجزاء كل منهما، وهذا يدل على مدى التناسب والتلاؤم بين آيات السورة، فكل آية تأخذ برقاب الأخرى، وهذا لعمري قمة الإعجاز القرآني.

يقول الإمام الزرقاني[1]- رحمه الله -: " إن القرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد دقيق السبك متين الأسلوب قوي الاتصال آخذ بعضه برقاب بعض في سورة وآياته وجمله يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل كأنه حلقة مفرغة أو كأنه سمط وحيد وعقد فريد يأخذ بالأبصار نظمت حروفه وكلماته ونسقت جمله وآياته وجاء آخره مساوقا لأوله وبدا أوله مواتيا لآخره " [2].

" أي تدبير محكم، وأي تقدير مبرم، وأي علم محيط لا يضل ولا ينسى، ولا يتردد ولا يتمكث؛ كان قد أعد لهذه المواد المبعثرة نظامها، وهداها في إبان تشتتها إلى ما قدره لها، حتى صبغ منها ذلك العقد النظيم، وسرى بينها هذا المزاج العجيب؟ سبحان الله! هل يمتري عاقل في أن هذا العلم البشري؛ وأن هذا الرأي الأنف البدائي الذي يقول في الشي: " لو استقبلت من أمري ما استدبرت لقلت أو فعلت، ولقدمت أو أخرت " لم يك أهلًا لأن

(١) محمد عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة، من كتبه مناهل العرفان في علوم القرآن. انظر: الأعلام للزركلي: ٦/٢١٠.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني: ١/٦٠، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة.

يتقدم الزمان ويسبق الحوادث بعجيب هذا التدبير ؟ أليس ذلك وحده آية بينة على أن هذا النظم القرآني ليس من وضع بشر، وإنما هو صنع العليم الخبير؟ بلى؛ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (١) (٢).

وبالجملة .. فإن هذا الإعجاز في معاني القرآن وارتباطها أمر لا ريب فيه، وهو أبلغ في معناه الإلهي إذا انتبهت إلى أن السور لم تنزل على هذا الترتيب، فكان من الأحرى ألا تلتئم، وألا يناسب بعضها بعضا، وأن تذهب آياتها في الخلاف كل مذهب .. ولكنه روح من أمر الله .. تفرق معجزا، فلما اجتمع، اجتمع له إعجاز آخر ليتذكر به أولو الألباب.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

(١) سورة النساء من الآية ٨٢.

(٢) النبأ العظيم لمحمد بن عبد الله دراز، صـ ١٩٠.

الخاتمة

الحمد لله على نعمه ومننه علينا، فلقد انتهيت بفضله من هذا البحث والذي كان بعنوان: " **التناسب في القرآن الكريم سورة البلد انموذجا** " ولقد توصلت – بعون الله – إلى بعض النتائج وهي كالتالي:

- بلغ القرآن الكريم من ترابط أجزائه، وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره مبلغا فريدا، لا يدانيه فيه أي كلام آخر، وقد تجلى ذلك في فصاحته وبلاغته واتساق الفاظه مع معانيه وارتباط آياته وسوره بعضها مع بعض.
- علم المناسبة علم إبداعي يمكن للباحث التعمق فيه فيتوصل إلى نتائج جديدة ومعطيات لم يسبق إليها.
- كل من تحدث عن مصطلح التناسب لم يخرج عن معنى التلاؤم والتشابه في وصفه للكلام المتشابه، ومنهم من استعمل مصطلح التلاؤم بدلا من التناسب، ولكن لفظ التناسب يوحي بخصائص جمالية يتصف بها النص المبدع الذي تظهر أجزاؤه في أذن السامع وعين القارئ متناسقة بعضها مع بعض.
- أكد العلماء على أهمية علم المناسبات ومكانته وفضله لما فيه من إبراز إعجاز القرآن ليس فقط لفصاحة ألفاظه وشرف معانيه بل بحسب ترتيبه ونظم آياته، إذ يعد من أدق العلوم، وأعظم الوسائل التي تعين على التعمق في فهم القرآن، واكتشاف دقائق ترابطه وسبكه، وقد اعتنى المفسرون قديما وحديثا بذكره في تفاسيرهم، ومن أشهر

المفسرين الذين اعتنوا بهذا العلم، الإمام الرازي في مفاتيح الغيب، والإمام أبو حيان في البحر المحيط، والإمام الزمخشري في الكشاف، وغيرهم.

- إن الذي تطمئن إليه النفس، أن سورة البلد من السور المكية الخالصة، ولا يوجد دليل يعتمد عليه يخالف ذلك.
- محور سورة البلد يدور حول الحديث عن سعادة الإنسان وشقاوته، ومنهجه في اختيار أحد الطريقين، وقد ورد في اسمها عدة مسميات؛ سورة لا أقسم، سورة البلد وهي المسماة به لافتتاحها به، سورة العقبة لورود لفظ العقبة فيها.
- وجوه المناسبة بين سورة الفجر والبلد كثيرة منها: أن الله تعالى ختم سورة الفجر ببيان حال النفس المطمئنة في الآخرة، وذكر هنا طريق الاطمئنان، وحذّر من ضده وهو الكفر بآيات اللّه ومخالفة أوامر الرحمن.
- وجوه المناسبة بين سورة البلد والشمس كثيرة منها أنه لما كان آخر سورة البلد مختتما بشيء من أحوال الكفار في الآخرة، اختتم سورة الشمس بشيء من أحوالهم في الدنيا، وفي ذلك إشارة بمآلهم إلى النار في الآخرة، وفي الدنيا إلى الهلاك المستأصل.
- تعد سورة البلد وحد موضوعية متكاملة حيث إنها استوفت كل عناصر البلاغ والإرسال: موطن الرسالة والرسول والمرسل إليه والرسالة وأصناف الخلق بالنسبة للاستجابة للرسالة.

- سور القرآن الكريم لم تنزل على هذا الترتيب، فكان من الأحرى ألا تلتئم، وألا يناسب بعضها بعضا، وأن تذهب آياتها في الخلاف كل مذهب .. ولكنه روح من أمر الله .. تفرق معجزا، فلما اجتمع، اجتمع له إعجاز آخر ليتذكر به أولو الألباب.

التوصيات:

في ختام هذا البحث توصي الباحثة بالعناية بالسور القصيرة لا سيما وأنها تشتمل على فوائد كثيرة ولطائف عديدة فسور القرآن يسري فيها الاعجاز من أوله لآخره قصرت السورة أو كبرت.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.
- الأساس في التفسير، سعيد حوّى، دار السلام – القاهرة، ط: السادسة ١٤٢٤هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط: الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
- أسد الغابة لأبى الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين بن الأثير، دار الفكر – بيروت ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
- أسرار ترتيب القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع .
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة، دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، ط: الرابعة ١٤١٥هـ.
- الاعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢م.

- أعيان العصر وأعوان النصر لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المحقق: الدكتور/ علي أبو زيد، وآخرون، قدم له: مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا، ط: الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
- إمتاَعُ الفُضَلاء بتَراجِم القرّاء فِيما بَعدَ القَرن الثامِن الهِجري، إلياس ابن أحمد حسين – الشهير بالساعاتي – بن سليمان بن مقبول علي البرماوي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر ابن محمد الشيرازي البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ.
- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ.
- البرهان فى تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ــ المغرب، عام النشر: ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- البرهان في علوم القرآن لأبي عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله ابن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط: الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين أبو طاهر محمد ابن يعقوب الفيروزآبادى – دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبى عبد الله، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان.
- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد ابن عبدالله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: الدكتور/ عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط: الأولى ١٤١٦هـ.

- التَّفْسِيرُ البَسِيْط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعى، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ط: الأولى ١٤٣٠هـ.
- التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، دار المعارف – القاهرة، ط: السابعة.
- التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ١٣٨٣هـ.
- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة.
- تفسير الماوردي= النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد ابن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المحقق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
- تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط: الثانية ١٤١٨هـ.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: الأولى.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى ٢٠٠١م.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر ابن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله- ﷺ - وسننه وأيامه = صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
- جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الأولى ١٩٨٧م.
- حَاشِيةُ الشِّهَاب عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، دار صادر – بيروت.
- حجة القراءات لعبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني.

- الحيوان لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية ١٤٢٤هـ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: الدكتور/ أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
- دراسات في علوم القرآن، د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي، ط: التاسعة عشر ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ابن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، المحقق: د/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- ديوان امرئ القيس امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط: الثانية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ.
- زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.
- شرح ديوان الحماسة لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، المحقق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم

شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م
- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، ط: الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
- طبقات المفسرين العشرين لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، ط: الأولى ١٣٩٦هـ.
- طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية – بيروت.
- علم المناسبات في القرآن لمحمد بن عبد العزيز الخضيري، مجلة البيان، العدد ١٤٦.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لأبي محمد محمود بن أحمد ابن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني، دار

إحياء التراث العربي – بيروت.

- غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني لأحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي، من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس، دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية– تركيا، عام النشر: ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
- فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط: الأولى – ١٤١٤هـ.
- فوات الوفيات لمحمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر ابن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين، دار صادر – بيروت، ط: الأولى.
- القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الثامنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو ابن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٧هـ.
- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي ابن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط: الثالثة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
- مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.
- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع – بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، قرأه وتممه: د/ عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى ١٤٢٦هـ.
- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله ابن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

- المستقصي في أمثال العرب لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية ١٩٨٧م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله- ﷺ -، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل بن محمد أبو العلاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٢٥هـ.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية – بيروت.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٠هـ
- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط: الأولى.
- معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- المعجم الأوسط لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن

ابن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

- معجم الصحابة لأبي القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز ابن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي، المحقق: محمد الأمين ابن محمد الجكني، مكتبة دار البيان – الكويت، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط: الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» لعادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط: الثالثة ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ لمحمد محمد محمد سالم محيسن – دار الجيل – بيروت، ط: الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن ابن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة ١٤٢٠هـ.

- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط: الأولى ١٤١٢هـ.
- المناسبة في القرآن دراسة لغوية أسلوبية، د/ مصطفى شعبان عبد الحميد، المكتب الجامعي الحديث ٢٠٠٧م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى ابن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية ١٣٩٢هـ.
- الموسوعة القرآنية، خصائص السور لجعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٠هـ.
- النبأ العظيم لمحمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني دار القلم للنشر والتوزيع، ط: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النكت في إعجاز القرآن لعلي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي، المحقق: محمد خلف الله، د/ محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط: الثالثة ١٩٧٦م.

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد ابن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق وتعليق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ/ علي محمد معوض، الدكتور/ أحمد محمد صيرة، الدكتور/ أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور/ عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور/ عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد ابن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.